

الدُّورُ الْعِلْمِيُّ لِلْغَافِقِيِّينَ فِي مِصْرَ مِنَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى سُقُوطِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ

د. مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ السَّيِّدِ خَلْفَ بَاحِثٍ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ - جَامِعَةُ الْأَزْهَرِ بِالْقَاهِرَةِ.

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ

هذا البحث يلقي مزيداً من الضوء على الدور العلمي الذي لعبته قبيلة غافق العربية في مصر الإسلامية، من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الفاطمية. وقد جاء في أربعة مباحث رئيسة: تحدثت في المبحث الأول عن: " قبيلة غافق بين الجاهلية والإسلام"، موضحاً بطونهم، ودخولهم في الإسلام، ومشاركتهم في حركة الفتح الإسلامي لمصر، وأماكن خططهم وارتباعتهم فيها. وفي المبحث الثاني تحدثت عن: " الصحابة والتابعين" الغافقيين الذين نزلوا أرض مصر، ومن أخذ عنهم. وفي المبحث الثالث تحدثت عن: " علم الحديث" وأشهر المحدثين الغافقيين الذين ظهروا في مصر، ومساهماتهم العلمية في هذا المجال. وجاء المبحث الرابع والأخير: ليتحدث عن: " علم الفقه"، وأشهر الفقهاء الغافقيين في مصر. ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تتعلق هذه دراسة بإحدى القبائل العربية التي شاركت في فتح مصر، وكان لها دورٌ فاعلٌ ومؤثرٌ في تاريخها الحضاري، وظهر من بين أبنائها من حمل راية العلم، ونافس العلماء، إنها قبيلة " غافق".

والهدف الرئيس من هذا البحث هو الرد على الدعاوى الغربية عن فكرنا وحضارتنا، دعاوى قديمة تلبس ثياب الحداثة، وتحاول أن تضفي على نفسها سمات العلم والمعرفة، دعاوى فحواها محو كل ما هو عربي، أو بمعنى أوضح، قطع كل صلة تربط مصر بعالمها العربي والإسلامي. ووجدنا من يدعي كذباً وزوراً أن الفتح الإسلامي لمصر لا يعدو أن يكون حلقة من سلسلة الغزوات التي تعرضت لها مصر طوال تاريخها السياسي والحضاري، وأن العرب ما قدموا لمصر شيئاً، فضلاً عن السلب والنهب، بالإضافة لأخذ الجزية من المصريين وإرسالها إلى مقر الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة مرة، ودمشق أخرى، وبغداد ثالثة. فمصر - على قول أحدهم - فرعونية النشأة، قبطية النزعة، أوربية الفكر والثقافة.

ولا يخفى على الدارسين والباحثين ما وراء هذه الدعاوى من خبث ومكر وخديعة، مع ما تنطوي عليه من فكر مغلوط، ومعلومات مبتورة مكذوبة مدسوسة، مع جهل بتاريخ مصر الحضاري، ودورها الثقافي تجاه عالمها العربي والإسلامي.

ولكني أقول: كبرت كلمة تخرج من أفواههم وأقلامهم، فمصر كانت وستظل عربية إسلامية، وستظل جزءاً أصيلاً من عالمها العربي والإسلامي، بل هي في الحقيقة درع العروبة والإسلام. وإنها احتوت - قديماً - جميع المحجرات العربية التي جاءت إليها، وسكنت أرضها، واستظلت بسمائها. وإن جميع أهلها قد ساهموا في صنع وبناء هذه الحضارة.

أما هذه الدعاوى الخبيثة، فلم تنطو على المصريين، ولن تجد لها آذاناً مُصغية بينهم. يقول ربنا Y: [فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ] [سورة الرعد: آية 17]. فللقبائل العربية دور حضاري كبير في مصر خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة. وهذا لا يعني الانقطاع عن الماضي، فمصر بتاريخها الطويل الممتد عبر آلاف السنين قد استطاعت أن تصهر جميع الحضارات التي ظهرت على

أرضها في بوتقة واحدة ؛ لتخرج لنا في النهاية حضارة مصرية عربية إسلامية تجمع بين أصالة الماضي، وروعة الحاضر، وأمل متجدد في المستقبل.

وفي الختام، هذا عمل بشري قابل للصواب والخطأ. وهو محاولة علمية للرد على الشبهات التي تنكر مساهمات العرب في حضارة مصر الإسلامية. والله تعالى من وراء القصد. وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أولاً: قبيلة غافق بين الجاهلية و الإسلام

يرجع بعض علماء الأنساب قبيلة غافق إلى الأزدي [الغوث بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان]، والتي سكنت في جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلت بعد انهيار سد مأرب⁽⁶¹⁾ فنزلت منطقة تَهَامَة⁽⁶²⁾، وربما امتدت مساكنهم شمالاً حتى مدينة جدة⁽⁶³⁾، وكانت بلادهم تتبعها من الناحية الإدارية، وربما كانت تخضع أحياناً لحكومة مكة⁽⁶⁴⁾.

ويقول علماء الأنساب: إن عك زُزق بـغلام سماه علقمة، وكان من ولده الشاهد، ومن الشاهد غافق⁽⁶⁵⁾. وعلى ذلك فبنو غافق بطن من عك، وينسبون إلى بني قحطان. فهم إذن: بنو غافق بن الشاهد بن علقمة بن

⁽⁶¹⁾ يصل الارتفاع الحالي - لما بقي - من السد، من جهة الجدار نحو 11 متراً، ويبلغ امتداده العرضي 12.40 من الأمتار. ويبلغ عرض البوابة اليمنى 4.55 من الأمتار. وامتداد ضلع الحوض الواقع خلفها 78.80 من الأمتار. أما في الناحية اليسرى وهي الأكبر فيمتد المجرى المائي الأساسي فيها نحو 1160 متراً، وتتفرع من الحوض الذي ينتهي إليه 14 ترعة يبلغ عرض الواحدة منه نحو ثلاثة أمتار. د. عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، [بدون - تاريخ]، ص 56 - 57.

⁽⁶²⁾ تَهَامَة: تامة تساير البحر، منها مكة، والحجاز ما حجز بين تامة والعروض. قال الأصمعي: إذا خلفت عمان مصعداً فقد أنجحت فلا تزال منجداً حتى تنزل في ثنايا ذات عرق، فإذا فعلت ذلك فقد أتممت إلى البحر، وإذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فذلك الحجاز، وإذا تصوّبت من ثنايا العرج واستقبلك الأراك والمرخ فقد أتممت؛ وإنما سُمّي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تامة ونجد. وقيل: طرف تامة من قبل الحجاز مدارج العرج، وأول تامة من قبل نجد ذات عرق. والمدارج: الثنايا الغلاظ. وقيل: يخرج من مكة فلا يزال في تامة حتى يبلغ عسفان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط1، ج2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1417هـ - 1997م، ص 63، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، ص 283.

⁽⁶³⁾ جُدَّة: بلد على ساحل بحر اليمن، هو فرضة مكة، بينهما ثلاث ليال. ياقوت: نفس المصدر، ج2، ص 114، البغدادي: نفس المصدر، ج1، ص 318.

⁽⁶⁴⁾ عبد الله خورشيد البري (دكتور): القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص 158.

⁽⁶⁵⁾ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1400هـ - 1980م، ص 127. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، ج5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ص 113.

عك⁽⁶⁶⁾. يقول ابن فضل الله العُمري: "والعتيك وغافق قبيلتان مشهورتان في الإسلام، وهم من ولد الأزد"⁽⁶⁷⁾.
ويضيف القلقشندي والزَّبيدي: "وإلى عك ينسب كل غافقي"⁽⁶⁸⁾.

أولاً: دخول قبيلة غافق في الإسلام:

بعد أن أعز المولى Y الإسلام بفتح مكة (8هـ/629 م)، وانتصر المسلمون في غزوة تبوك (9هـ/630 م)،
أقبلت الوفود قاصدة المدينة في العام التاسع والعاشر الهجريين، يعلنون دخولهم في دين الله تعالى، حتى سمي العام
التاسع للهجرة بعام الوفود⁽⁶⁹⁾، فقد زاد عددها عن سبعين وافداً.

وكان من أهم هذه الوفود أهل اليمن؛ وبخاصة وفد غافق، وكان على رأسهم جُلَيْحَة بن سنجار بن صحار
الغافقي⁽⁷⁰⁾، وعود بن سرير الغافقي⁽⁷¹⁾. فقالوا: يا رسول الله (ﷺ) نحن الكواهل من قومنا، وقد أسلمنا
وصدقاتنا محبوسة بأفئتنا. فقال: لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فقال عوذ: آمنا بالله واتبعنا رسوله⁽⁷²⁾.
هكذا دخلت قبيلة غافق في الإسلام، وحسن إسلامهم، وصار لهم دورٌ كبيرٌ في تاريخنا الإسلامي عامة،
وتاريخ مصر العلمي خاصة.

ثانياً: دور قبيلة غافق في فتح مصر:

لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب (40 ق هـ - 23 هـ / 584 - 644 م) الجابية⁽⁷³⁾، قام إليه عمرو بن
العاص (المتوفى عام: 43 هـ / 664 م) وخلا به وحدثه في فتح مصر، وبعد مشاورات عديدة وافق الخليفة
وسمح لعمرو بالذهاب، وبالفعل تحرك الجيش الإسلامي بقيادة الفاتح عمرو بن العاص بجيش قوامه أربعة آلاف
رجل، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة كان ثلثهم من غافق⁽⁷⁴⁾.

⁽⁶⁶⁾ جواد علي (دكتور): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، ج8، بيروت، دار الساقى، 1422هـ - 2001م، ص96.
⁽⁶⁷⁾ ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط1، ج4، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م، ص134. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط2، ج3، بيروت، دار العلم للملايين، 1388هـ - 1968م، ص875.
⁽⁶⁸⁾ القلقشندي: صحح الأعشى في صناعة الإنشاء، تقدم د. فوزي محمد أمين، ط1، ج1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، 2006م، ص231. الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغزايوي، ط2، ج26، دولة الكويت، سلسلة التراث العربي بوزارة الإعلام، 1410هـ - 1990م، ص255.
⁽⁶⁹⁾ ابن هشام: السيرة النبوية، ط1، ج4، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2012م، ص205، السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط1، ج7، دولة لبنان، دار إحياء التراث العربي، 2000م، ص443، المقرئ: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ط1، ج2، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1999م، ص98..
⁽⁷⁰⁾ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ، ص601.
⁽⁷¹⁾ ابن حجر: نفس المصدر، ج2، ص324.
⁽⁷²⁾ ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط1، ج2، القاهرة، مكتبة الأسرة (مهرجان القراءة للجميع)، ص115، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج7، ص190.
⁽⁷³⁾ الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيود من ناحية الجولان قرب مرج الصَّقر، في شمالي حوران إذا وقف الإنسان في الصَّمنين، واستقبل الشمال ظهرت له، ويظهر من نوى أيضاً. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص91، البغدادي: مرصاد الاطلاع، ج1، ص304.
⁽⁷⁴⁾ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط1، ج3، ص331، مادة "الفسطاط".

وعلى ذلك أستطيع القول: إن ما لا يقل عن ألف جندي من جيش عمرو بن العاص كانوا من قبيلة غافق بالذات. وقد نص ابن عبد الحكم على هذه الحقيقة صراحة بقوله: "كانت غافق ثلث الناس مَدْخَلِ عمرو بن العاص مصر"⁽⁷⁵⁾. وفي هذا أكبر دليل على قوة وشجاعة قبيلة غافق في القتال، فقد شاركت في فتح مصر بكل هذا العدد، مما جعل القائد عمرو بن العاص يثني على شجاعتهم بقوله: "ثلاث قبائل من مصر، أما قبيلة مهرة فيقتلون ولا يقتلون، وأما غافق فقوم يقتلون ولا يُقتلون، وأما بلي فأفضلها فارساً"⁽⁷⁶⁾.

وأزعم أن هذه هي القراءة الصحيحة لما ورد على لسان عمرو بن العاص في تصنيفه للقبائل العربية التي شاركت في الفتح، وليس كما قرأها أحد الباحثين المحدثين⁽⁷⁷⁾ خطأ، حيث قال عن غافق: يُقتلون (بالضم في الأولى)، ويقتلون (بالفتح في الثانية)، وذلك لأن قبيلة غافق كانت - كما سبقت الإشارة - ثلث الجيش، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أرسلهم على رأس الجيش الإسلامي المتوجه لفتح مصر، فهو متأكد - إذن - من شجاعتهم وقوتهم وبسالتهم في المعارك، وإلا فلماذا أرسلهم إلى مصر؟ فأرسلهم ليقتلوا هناك؟! حاشاه.

صفوة القول: أن قبيلة غافق قد شاركت بقوة في فتح مصر بما لا يقل عن ألف مقاتل من رجالها البواسل، وكانت رحي الحرب تدور على عاتقهم، وقد تحملوا كثيراً من التعب والنصب في أثناء عملية الفتح الإسلامي لمصر. فإذا تذكرنا قوة ومتانة أسوار حصن بابليون⁽⁷⁸⁾، وقوة المقاتلة من الروم، عرفنا كم عانى هؤلاء الأبطال في عملية الفتح الإسلامي لمصر، ويستحقون - حقاً - اللقب الذي وصفه بهم أميرهم عمرو بن العاص بأنهم "قوم يقتلون ولا يُقتلون".

ثالثاً: خطط غافق بمدينة الفسطاط:

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية⁽⁷⁹⁾، عاد مرة ثانية إلى القرب من حصن بابليون، فأقام فسطاطه ونزل به، ثم نزل الناس حوله، وابتنى داره الصغرى التي هي بالقرب من جامع [الجامع العتيق]، وتسارع الناس في الاختطاط حوله، وتنافست القبائل في ذلك، فولى عمرو على الخطط معاوية بن حديج التجيبي، وشريك بن سمي العطيبي، وعمرو بن قحزم الخولاني، وحيوة بن ناشرة المعافري، ففصلوا بين القبائل، وأنزلوا الناس منازلهم،

⁽⁷⁵⁾ فتح مصر والمغرب، ص 166.

⁽⁷⁶⁾ المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، ج1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1996 م، ص 205.

⁽⁷⁷⁾ د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 164.

⁽⁷⁸⁾ حصن بابليون: هو اسم عام لديار مصر بلغة القدماء. وقيل: هو اسم لموضع الفسطاط خاصة، وموضعه الآن ما يُعرف بمصر القديمة. وقد بناه الرومان قديماً للدفاع عن المدينة، وكان بناؤه من الآجر والحجارة، وكان محيط الأسوار على شكل مربع غير منتظم. وقد فتحه المسلمون بقيادة القائد عمرو بن العاص وذلك في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في سنة (19هـ/640م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 311، البغدادي: مراد الاطلاع، ج1، ص 145، ألفرد بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1416هـ - 1996م، ص 269 وما بعدها.

⁽⁷⁹⁾ الإسكندرية: المدينة المشهورة بمصر، على ساحل البحر المتوسط]. بناها الإسكندر الأكبر. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 182، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 143، البغدادي: مراد الاطلاع، ج1، ص 76.

فاختطوا الخطط ثم بنوا الدور والمساجد. ومن ثم فقد عرفت كل خِطة بالقبيلة أو الجماعة التي اختطتها، أو بصاحبها الذي اختطها⁽⁸⁰⁾.

ومن تلك الخطط: خطة غافق التي كانت تقع بين خطط مهرة ولخم، وخطط خولان، وخزاعة، وأسلم، وغفار، وثقيف، ودروس، وأهل الراية؛ وهم جماعة من قريش والأنصار لم ينتسبوا إلى قبيلة، فانفردوا بخطة وحدهم، وكانت من أعظم الخطط وأوسعها، كما يقول القلقشندي⁽⁸¹⁾.

وأما خطة غافق فقد اتسعت بمرور الوقت، حتى استغرقت صفحتين عند ابن عبد الحكم، وقال في ختام كلامه: "ولغافق من الخطة أكثر مما ذكرنا، غير أن هذه جُمُلُها"⁽⁸²⁾.

رابعًا: من بطون قبيلة غافق في مصر:

تعددت بطون غافق التي نزلت بالفسطاط عقب الفتح الإسلامي، ومن أهم هذه البطون: أحذب وكان لهم مسجد بالفسطاط⁽⁸³⁾. وتيم⁽⁸⁴⁾، وجذران⁽⁸⁵⁾ كان لهم - أيضًا - مسجدان بالفسطاط⁽⁸⁶⁾؛ وهذا يدل على كثرة عددهم. والحرة⁽⁸⁷⁾، والحرقة⁽⁸⁸⁾، ودهنة⁽⁸⁹⁾، والغمر⁽⁹⁰⁾، والقيافة⁽⁹¹⁾، وقيانة⁽⁹²⁾، ومنارة⁽⁹³⁾، والحمدي: منسوب إلى حمدي بن بادي⁽⁹⁴⁾، وكان لهم زقاق باسمهم في الفسطاط، وكان منهم الصحابي عبد الله بن مالك؛ والذي كان له مسجد باسمه في هذا الزقاق، وروى أهل مصر عنه حديثين⁽⁹⁵⁾. وأخيرًا، سحبل بن غافق⁽⁹⁶⁾.

⁽⁸⁰⁾ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد (49)، 1999م، ص 171، المقريري: المصدر السابق، ج1، ص 373، القلقشندي: صبح الأعشى، ج 3، ص 331، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، ج1، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية، 2007م، ص 65.

⁽⁸¹⁾ القلقشندي: نفس المصدر، ج 1، ص 447.

⁽⁸²⁾ ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 166 - 168.

⁽⁸³⁾ السمعاني: الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1988م، ص 88. الهمداني: عجالة

المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كون، ط1، القاهرة، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1384هـ - 1965م، ص 3.

⁽⁸⁴⁾ السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 498، الزبيدي: تاج العروس، ج 31، ص 350، كحالة: معجم قبائل العرب، ج 1، ص 137.

⁽⁸⁵⁾ السمعاني: نفس المصدر، ج2، ص 34، الزبيدي: نفس المصدر، ج10، ص 393، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 175.

⁽⁸⁶⁾ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 166.

⁽⁸⁷⁾ السمعاني: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 200، الزبيدي: المصدر السابق، ج 5، ص 220.

⁽⁸⁸⁾ السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 205.

⁽⁸⁹⁾ السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 518، الهمداني: عجالة المبتدي، ص 18، الزبيدي: المصدر السابق، ج35، 44، كحالة: معجم

القبائل العربية، ج 1، ص 391، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج 8، ص 96.

⁽⁹⁰⁾ السمعاني: نفس المصدر، ج4، ص 309، الهمداني: نفس المصدر، ص 29، كحالة: نفس المرجع، ج3، ص 892.

⁽⁹¹⁾ السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 572، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 936.

⁽⁹²⁾ السمعاني: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 572، الزبيدي: تاج العروس، ج 36، ص 35، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 970، د.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج 8، ص 96.

⁽⁹³⁾ السمعاني: نفس المصدر، ج5، ص 386، كحالة: نفس المرجع، نفس الجزء، ص 1139.

⁽⁹⁴⁾ الهمداني: عجالة المبتدي، ص 15، الزبيدي: نفس المصدر، ج 8، ص 45، كحالة: نفس المرجع، ج1، ص 299.

⁽⁹⁵⁾ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص 167.

هذه هي أهم بطون قبيلة غافق التي استقرت في مصر، وكان لهم خطط بها. إذًا، قسمت مدينة الفسطاط إلى خطط، كل خطة تسكنها قبيلة. كانت الأكثرية العظمى من عرب الجنوب أو اليمينية، وبمرور الوقت اندمج العرب الفاتحون مع الشعب المصري، وامتزجوا به امتزاجًا قويًا، كان له أكبر الأثر في نشر الدين الإسلامي، واللغة العربية بين سكان مصر⁽⁹⁷⁾.

ومن الجدير بالذكر، أن قبيلة غافق كانت تهتم ببناء المساجد، فقد أحصي ما يقرب من ستة مساجد بُنيت في خطتها، وهي: مسجد جذران، ومسجد أحذب، ومسجد الزمام، ومسجد أبي موسى الغافقي، ومسجد بادي، ومسجد القيراط⁽⁹⁸⁾. وفي هذا أكبر دليل على حُسن إسلامهم، وجهودهم في نشر الإسلام بين المصريين.

ومن المسلم به أن الموجة العربية الإسلامية بدأت بأعداد محدودة، وكانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب (13 - 23 هـ / 634 - 644 م) تقوم على الحفاظ على التقليد العسكري للجنود بعيدًا عن الزراعة والأرض، بينما كان عمرو بن العاص τ هو واضع نظام "الارتباع"⁽⁹⁹⁾، فكان ينقل العرب كل ربيع إلى الصحراء ومراعيها حفاظًا على تقاليد البدو والبدواة⁽¹⁰⁰⁾. وقد ظلت هذه السياسة سارية ونافذة عقب الفتح، ثم بدأ التحول إلى الزراعة والاستقرار بالتدريج.

والجدير بالذكر، أن قبيلة غافق - نظرًا لكيرها، وتعدد بطونها - كانت لها أربعة مرايع في مصر، توجد في أبي صير بمحافظة الجيزة حاليًا⁽¹⁰¹⁾، ومنوف بمحافظة المنوفية حاليًا⁽¹⁰²⁾، ودسبندس، وتعرف حاليًا بـ "سنديس"⁽¹⁰³⁾، وتقع في محافظة القليوبية، وأتريب بمحافظة سوهاج حاليًا⁽¹⁰⁴⁾. وعلى ذلك، فإن مرايع قبيلة غافق قد توزعت في أربعة محافظات، اثنتان في الوجه البحري، وأخرى في الوجه القبلي. وفي هذا أكبر دليل على كثرة عددهم في مصر.

⁽⁹⁶⁾ الزبيدي: المصدر السابق، ج 29، ص 129، كحالة: المرجع السابق، نفس الجزء، ص 503.

⁽⁹⁷⁾ سيدة إسماعيل سيد كاشف (دكتور): مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، 1999م، ص 240.

⁽⁹⁸⁾ ابن عبد الحكم: المصدر السابق، نفس الصفحات.

⁽⁹⁹⁾ الارتباع: هو ما يسمى بالربيع، وهو نظام مرسوم منذ اللحظة الأولى لدخول العرب مصر. أي عندما يأتي فصل الربيع يذهب العرب قبيلة قبيلة نحو أرياف مصر، ويطلقون خيولهم ترعى في حقول البرسيم حتى تسمن، ويتعاملون مع المصريين في نطاق منظم طيلة ثلاثة شهور، ثم يرجعون إلى الفسطاط. د. ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الطبعة الأولى، مصر، مكتبة مدبولي، [بدون - تاريخ]، ص 62.

⁽¹⁰⁰⁾ ابن عبد الحكم: نفس المصدر، ص 141.

⁽¹⁰¹⁾ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 371، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، ط2، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م، ج 4، ص 5.

⁽¹⁰²⁾ ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 4، ص 176، محمد رمزي: نفس المرجع، ج 3، ص 233.

⁽¹⁰³⁾ ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 2، ص 226، محمد رمزي: نفس المرجع، ج 2، ص 56.

⁽¹⁰⁴⁾ ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 1، ص 51، محمد رمزي: نفس المرجع، ج 1، ص 11.

ومما ينهض دليلاً على كثرتهم في الريف المصري - ما ذكره ابن يونس - المؤرخ المصري - أن وفدًا من غافق جاءوا إلى القائد عمرو بن العاص، فقالوا: إننا في الريف، فنجتمع في العيدين [الفطر والأضحى]، ويؤمننا رجلٌ منا. قال: نعم ، قالوا: فالجمعة؟ قال: لا¹⁰⁵). ولعل سبب رفضه يرجع إلى حرصه على أداء صلاة الجمعة بالمسجد الجامع بالفسطاط ، للاطمئنان على أحوال المسلمين، ومدى علاقتهم بالمصريين.

هذا، وقد اشتهرت قبيلة غافق بحسن استقبالها للقبائل العربية التي نزلت في جوارها، ومنها - على سبيل المثال - قبيلة الأزد التي نفاها زياد بن أبيه - حاكم البصرة¹⁰⁶ - [1 - 53 هـ / 622 - 673 م] إلى مصر سنة 45 - 53 هـ / 665 - 672 م) ، فنزلوا بالفسطاط بموضع يقال له الظاهر، بين قبيلتي تجيب وغافق ، حتى قال عمران بن حطان الشاعر[المتوفى عام: 84 هـ / 703 م] الذي رحب بخروجهم:

فَأَمْسُوا بِدَارٍ لَا يُفَرِّغُ أَهْلُهَا ... وَجِيرَانُهُمْ فِيهَا تُجِيبُ وَغَافِقُ¹⁰⁷
وأطلق المصريون عليهم اسم العراقيين لمجيئهم من العراق¹⁰⁸).

كما ورد ذكرها على لسان عبد الرحمن بن الحَكَم، وهو يصف هول المعارك بين أخيه وبين ابن جَحْدَم سنة [65 هـ / 684 م] فقال:

وَجَاشَتْ لَنَا الْأَرْضُ مِنْ نَحْوِهِمْ ... بِحَيِّ تُجِيبُ وَمِنْ غَافِقِ¹⁰⁹

وأؤكد على أن المصريين قد أحسنوا استقبال جميع العرب الوافدين، وذلك يرجع إلى إحساسهم وإدراكهم بأنهم بعض أقاربهم وأصولهم وليسوا بغرباء عنهم، إنهم من الناحية الشكلية يشبهونهم، وهذا قد سهل التقريب بين العنصرين وشجع الامتزاج الكامل بينهما. فانساح العرب الفاتحون في طول البلاد وعرضها، ينشرون الإسلام، ويندمجون مع سكان البلاد الأصليين، ولم نقرأ عن هجرات عربية تاركة مصر عائدة إلى أوطانها الأصلية، التي ربما لا يعرفها بعضهم أحياناً.

صفوة القول، أن الهجرة العربية هي أول وآخر هجرة استيطان موجبة فاعلة وناجحة في تاريخ مصر، ومن ثم فهي أهم وأخطر إضافة إلى تكوين الدم المصري، ولكن الحق يقال: إذا كان العرب قد عربوا مصر ثقافياً، فإن مصر قد مصرتهم جنسياً، وإن التعريب (تعريب المصريين) تحول في النهاية إلى تمصير (تمصير العرب)¹¹⁰.

¹⁰⁵ السيوطي: حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1418هـ - 1988م، ص 295.

¹⁰⁶ البَصْرَةُ: في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تعلق وتقطع حوافر الدواب، قال: ويقال بصرة للأرض الغليظة، وقال غيره: البصرة حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظتها وشدتها. وهي إحدى مدن العراق حالياً. قال الشعبي: مصرت البصرة قبل الكوفة بسنة ونصف. وهي مدينة على قرب البحر كثيرة النخيل والأشجار، سبخة التربة ملحة الماء. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 430، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 309.

¹⁰⁷ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 21. إحسان عباس(دكتور): شعر الخوارج، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1974م، ص 146.

¹⁰⁸ د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 148.

¹⁰⁹ الكندي: ولاة مصر، تحقيق: د. حسين نصار، القاهرة، ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1426هـ - 2005م، ص 44.

¹¹⁰ جمال حمدان (دكتور): شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان - ، ط2، ج2، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013م، ص 306.

ولاشك أن هذه النظرية تنطبق على قبيلة غافق، التي ترك بعض أهلها مكانهم الأول بالفسطاط ورحلوا في طول البلاد وعرضها، فبعضهم نزل الصعيد وبعضهم الآخر استقر في الدلتا. وبمرور الوقت، عبر بعضهم الحدود المصرية واتجه غربًا ليستقر في برقة⁽¹¹¹⁾، وواصل الآخرون سيرهم حتى نزلوا في بلاد الأندلس، وكان لهم دور كبير هناك، ومعظمهم يحمل لقب "الغافقي".

وأن قبيلة غافق ظلت تحيا في مصر منذ اللحظات الأولى للفتح الإسلامي، وقد لعبت أدوارًا حربية كان لها أثرها في مصير مصر الإسلامية، وأن الطابع الذي غلب على أبنائها ومواليها طابع ديني في معظمه، وقد أثروا الحياة العلمية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الفاطمية، وهذا ما تشهد به شخصيات غافق وبطونها من جهة، وشواهد القبور من جهة أخرى⁽¹¹²⁾.

ثانياً: الصحابة والتابعون

عندما خرج العرب من شبه الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي، كانوا يعلمون أنهم سيفتحون بلادًا ذات حضارة عريقة، وما كاد يتم الفتح الإسلامي لمصر حتى أدرك العرب أنهم أمام شعب أصيل، فلم يتعرضوا لعقيدته وتقاليدته.

ومنذ الفتح الإسلامي لمصر عام (21 هـ / 641 م) ازدهرت أحوالها وعمها الرخاء، وأمن أهلها، ولم يعد يشكون من ثقل الضرائب الملقاة على أكتافهم؛ ومن هذا المنطلق اعتبرت مصر عمرو بن العاص تـ منقذًا وفتحًا. وما لبث عمرو أن غرس بذور الحضارة الإسلامية في مصر، وبسط جناح الإسلام في أرجائها، فأسس عاصمة جديدة للبلاد هي الفسطاط، وشيد أول جامع بمصر، والذي أصبح منارةً ساطعًا للعلم والثقافة.

أولاً: الصحابة:

بدأت الحركة العلمية في عصر الولاية [21 - 254 هـ / 641 - 868 م] على أساس الدين، ونهض بهذه الحركة في بادئ الأمر الصحابة الذين وفدوا إلى مصر أثناء الفتح الإسلامي وبعده فأخذوا يعلمون المصريين أمور دينهم.

هذا، وقد شارك كثيرٌ من الغافقيين في فتح مصر، وكان لهم دور كبير في نشر العلم والثقافة بين المصريين، فقد كانوا النواة الحقيقية لنشر التعليم الديني في مصر. ومن أشهرهم:

(111) بَرْقَةُ: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. وأرض برقة أرض خلوقية بحيث ثياب أهلها أبداً محمّرة لذلك، ويحيط بها البرابر من كل جانب. وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جوز ولوز وأنرج وسفرجل. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص 388.

(112) د. عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص 164.

أبو زيد الغافقي: لم تذكر لنا المصادر التاريخية اسمه كاملاً، إلا أنها أكدت أنه سمع الحديث من رسول الله (ﷺ)، وكان من أقدم الصحابة الذين دخلوا مصر مشاركين في عملية الفتح الإسلامي لها. روى عنه الحسن البصري، وعمرو بن شراحيل المعافري، وغيرهما⁽¹¹³⁾.

ومنهم: بشير بن جابر بن عراب الغافقي: صحب الرسول (ﷺ)، وشهد فتح مصر، ولم تحفظ لنا مصادرنا الحديثية رواية عنه⁽¹¹⁴⁾.

ومنهم: بكر بن عبد الله بن صحَّار الغافقي: لم تذكر لنا المصادر التاريخية عنه شيئاً سوى أنه شارك في فتح مصر⁽¹¹⁵⁾.

ومنهم: سفعة الغافقي: صحب الرسول (ﷺ)، وشهد فتح مصر⁽¹¹⁶⁾.

ومنهم: عبد العزيز بن سخيرة الغافقي: ذكره محمد بن الربيع الجيزي في كتابه: "الصحابة الذين نزلوا مصر" وقال: "إنه وفد على الرسول (ﷺ)، وكان اسمه عبد العزى، فسماه عبد العزيز، وشارك في فتح مصر"⁽¹¹⁷⁾.

ومنهم: عبد الله بن مالك الغافقي: سكن مصر بعد الفتح الإسلامي، وأشهر من روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود⁽¹¹⁸⁾. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخ وفاته⁽¹¹⁹⁾.

ومنهم: مالك بن عبادة الغافقي: قال محمد بن الربيع الجيزي: "له صحبة، وشهد فتح مصر"⁽¹²⁰⁾ روى عنه ثعلبة بن أبي الكنود⁽¹²¹⁾، وغيره. كان ثقة⁽¹²²⁾، توفي بالفسطاط سنة (58 هـ / 677 م)⁽¹²³⁾.

⁽¹¹³⁾ أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، ج2، الرياض، دار الوطن للنشر، 1419 هـ - 1998 م، ص 142، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، ج3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ - 1994 م، ص 181، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج7، ص135، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج1، ص 82.

⁽¹¹⁴⁾ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، ط1، ج1، بيروت، دار الجيل، 1412 هـ - 1992 م، ص 54، ابن ماكولا: الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411 هـ - 1990 م، ص 281، السمعاني: الأنساب، ج3، ص 398، ابن الأثير: نفس المصدر، ج1، ص 121، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، ط1، ج3، بيروت، دار إحياء التراث، 1420 هـ - 2000 م، ص 382.

⁽¹¹⁵⁾ ابن ماكولا: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 407، ابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشته، تحقيق: علي محمد الجاوي، مراجعة محمد علي النجار، ط1، ج1، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1967 م، ص 432، عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح (دكتور): تاريخ ابن يونس الصدي، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421 هـ - 2000 م، ص 182.

⁽¹¹⁶⁾ ابن حجر: الإصابة، ج3، ص 101، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 213.

⁽¹¹⁷⁾ ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص 219، ابن حجر: نفس المصدر، ج2، ص 214، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج1، ص 74.

⁽¹¹⁸⁾ الدارقطني: سنن الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط1، ج1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1424 هـ - 2004 م، ص 481، حديث رقم (438).

⁽¹¹⁹⁾ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج1، ص 300، ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 168، ابن حجر: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 168، السيوطي: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 73.

⁽¹²⁰⁾ ابن عبد البر: نفس المصدر، ج2، ص 68، ابن الأثير: نفس المصدر، ج3، ص 253، ابن حجر: نفس المصدر، ج3، ص 40، السيوطي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 83.

⁽¹²¹⁾ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ط1، ج12، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1404 هـ - 1984 م، ص 227، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج1، ص 425.

ومنهم: محمد بن جابر بن عراب الغافقي: وفد على الرسول (p)، وشهد فتح مصر، اشتغل هو وأخوه بشير- سابق الذكر - بالحديث. غير أنني لم أعثر على رواية له. قال ابن يونس: "وقد ذكروه (يعني أهل الحديث) في كتبهم"¹²⁴.

وأخيراً: هجالة بن أفلاح بن قيس الغافقي: شهد فتح مصر، وعاش ومات بالفسطاط¹²⁵.

ثانياً: التابعون:

هؤلاء هم أشهر الصحابة الذين سكنوا مصر عقب الفتح الإسلامي لها، وكانوا نواة حقيقية للحركة العلمية التي نشأت في الفسطاط، ثم ساح كثير منهم في ربوع مصر، ينشرون الدين الإسلامي، واللغة العربية. ومن ثم فقد أنشأ كل واحد منهم حلقة علمية في المكان الذي أقام فيه، والتف حوله طلاب العلم - المعروفون تاريخياً باسم التابعين - للأخذ عنه، وكان من أشهرهم:

عبد الله بن زُرَيْرِ الغافقي المصري: سمع جمعاً من أصحاب رسول الله (p)، ويأتي في مقدمتهم؛ أمير المؤمنين عمر بن الخطابؓ، ثم لازم الإمام علي بن أبي طالبؓ حتى صار من خاصته¹²⁶، بل كان على رأس الوفد المصري الذي توجه لمبايعته بالخلافة، وحارب إلى جواره في قتاله للخوارج¹²⁷.

وعلى كل حال، فقد انتفع عبد الله بما سمع من أميري المؤمنين، فروى عنهما كثيراً من الأحاديث، التي أخذها عنه جمع من طلاب العلم، من أمثال: مرثد بن عبد الله، وعبد الله بن هبيرة، والحارث بن يزيد، وأبي أفلاح الهمداني، وبكر بن سواده، وكعب بن علقمة، وعياش بن عباس، وغيرهم¹²⁸.

حظي عبد الله بن زُرَيْرِ بتوثيق علماء الجرح والتعديل، فقد وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن أبي حاتم الرازي، وابن حبان¹²⁹. هذا التوثيق جعل أصحاب السُّنن - كأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والإمام أحمد بن حنبل

¹²² ابن حبان: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ط1، ج3، دمشق، دار الفكر، 1395هـ - 1975م، ص377.

¹²³ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق، ط3، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ - 1998م، ص146.

¹²⁴ ابن حجر: الإصابة، ج6، ص6، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج1، ص438.

¹²⁵ ابن حجر: نفس المصدر، نفس الجزء، ص233، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص497.

¹²⁶ ابن قتيبة: المعارف، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ - 1987م، ص98، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5، ص448، وكتابه:

العبر في خير من غير، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوي زغلول، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، [بدون - تاريخ]، ص16.

¹²⁷ ابن ماكولا: الإكمال، ج4، ص185، ابن حجر: تبصير المنتبه، ج1، ص330.

¹²⁸ البخاري: التاريخ الكبير، ج5، ص95، ابن حجر: تقريب التهذيب، ج1، ص493، وكتابه: تهذيب التهذيب، ج5، ص190، العيني:

مغاني الأختيار، ج3، ص90.

¹²⁹ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص515، العجلي: معرفة الثقات، ج2، ص5، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج8، ص63، ابن

حبان: الثقات، ج5، ص24.

- يروون عنه في كتبهم⁽¹³⁰⁾. كما حفظت لنا مصادرنا التاريخية بعض مروياته عن الإمام علي بن أبي طالب⁽¹³¹⁾.

هكذا عاش عبد الله بن زُرير الغافقي محبًا للعلم، ناشرًا له، فسعدت به مدينة الفسطاط، التي عاش بين ربوعها، ومات ودفن في أرضها سنة (80هـ / 699م)⁽¹³²⁾.

ومنهم: الضحاك بن شراحيل الغافقي: روى عن جمع من الصحابة، من أمثال: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبي هريرة، وزيد بن أسلم⁽¹³³⁾. كما روى عن أيمن بن يحيى الأنصاري، وعامر ابن يحيى المعافري، وغيرهم⁽¹³³⁾.

اشتغل الضحاك بعلم الحديث حتى صار أحد أعلام المدرسة المصرية، مما جعل كثير من الطلاب يرحلون للأخذ عنه، ومنهم: حفص بن عمر، وحيوة بن شريح، وسعيد بن أبي أيوب، وسعيد بن أبي هلال، وعبد الله بن لهيعة، ورشدين بن سعد، وغيرهم⁽¹³⁴⁾. حظي الضحاك بتوثيق علماء الجرح والتعديل⁽¹³⁵⁾، مما جعل أصحاب السُّنن يروون عنه في كتبهم⁽¹³⁶⁾. توفي رحمه الله تعالى بالفسطاط سنة (120هـ / 738م) ودفن بجبل المقطم⁽¹³⁷⁾.

ومن أشهر من اشتغل بعلم الحديث من الغافقيين خلال هذه الفترة إياس بن عامر الغافقي المصري: اشتغل بعلم الحديث، فسمع من عقبة بن عامر الجهني⁽¹³⁸⁾، ولازم الإمام علي بن أبي طالب⁽¹³⁸⁾ وكان من شيعته⁽¹³⁸⁾. قال

⁽¹³⁰⁾ سنن أبي داود: (11 / 80) رقم(3535)، سنن النسائي: (15 / 395) رقم(5056)، سنن ابن ماجه: (10 / 456) رقم(3585)، مسند الإمام أحمد في (8) مواضع.

⁽¹³¹⁾ ومنها - على سبيل المثال - : " عن ابن لهيعة عن عبد الله بن زبير الغافقي قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حب أبي تراب، إلا أنك أعرابي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبوك، ولقد علمني منه علي بن أبي طالب⁽¹³¹⁾ سورتين علمهما إياه رسول الله (ﷺ) ما علمهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق. انظر: الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**، ط2، ج 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ، ص 137، المقرئ: **المقفي الكبير**، تحقيق: محمد البعلاوي، ط1، ج4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص 389، السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج 1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م، ص 77.

⁽¹³²⁾ السيوطي: **حُسن المحاضرة**، ج 1، ص 84.

⁽¹³³⁾ الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط2، ج7، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، 1413هـ-1993م، ص 385.

⁽¹³⁴⁾ العيني: **معاني الأخبار**، ج 3، ص 2.

⁽¹³⁵⁾ ابن حجر: **تهذيب التهذيب**، ج 4، ص 391.

⁽¹³⁶⁾ سنن أبي داود: (13 / 193) رقم (4353) ، سنن الترمذي: (1 / 73) رقم (40) ، سنن ابن ماجه: (1 / 500) رقم (406) مسند الإمام أحمد: (1 / 33) رقم (13274).

⁽¹³⁷⁾ السيوطي: **حُسن المحاضرة**، ج 1، ص 89.

⁽¹³⁸⁾ ابن ماكولا: **الإكمال**، ج 7، ص 323، السمعاني: **الأنساب**، ج 5، ص 386، السيوطي: **نفس المصدر**، نفس الجزء، ص 84.

ابن يونس الصديقي: "كان من شيعة علي τ ، والوافدين عليه من أهل مصر، وشهد معه مشاهد الحروب" (139). وعلى الرغم من ملازمة إياس للإمام علي بن أبي طالب τ ، إلا أنه لم يغال في حبه كما فعل كثير من الشيعة. لذا فقد وثقه أئمة الجرح والتعديل، مثل الإمام العجلي (140)، وابن حبان (141)، وابن أبي حاتم الرازي (142)، وغيرهما. كما روى عنه أصحاب الكتب الستة، مثل: أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبي جعفر الطحاوي (143). بالإضافة إلى ذلك فقد روى عنه الإمام عبد الله بن وهب (144). وقد وصلت إلينا كثير من مروياته عن الإمام علي τ ، من طريق ابن أخيه موسى بن أيوب الغافقي، وإن كان معظمها يتعلق بالأحكام الفقهية. ومنها - على سبيل المثال -: حكم الزواج من ملك اليمين (145)، ونكاح المتعة (146)، وما يقال في الركوع والسجود أثناء الصلاة (147)، وغير ذلك من الأحكام. وعلى الرغم من شهرة إياس بين المحدثين والفقهاء، إلا أنني لم أعر - للأسف الشديد - على تاريخ وفاته.

(139) ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، ط1، ج1، حلب، دار الرشيد، 1406هـ، ص114، وكتابه: تهذيب التهذيب، ج1، ص340، تاريخ ابن يونس، ج1، ص53.

(140) العجلي: معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، ط1، ج1، المدينة المنورة، مكتبة الدار، 1405هـ - 1985م، ص12.

(141) الثقات، ج4، ص33 - 35.

(142) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط1، ج2، حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1217هـ - 1952م، ص281، الزبيدي: تاج العروس، ج14، ص313.

(143) الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، ط1، ج1، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1413هـ - 1992م، ص258، سنن الدارمي: (91 / 4) رقم (1355)، (204 / 10) رقم (3392)، سنن الدارقطني: (8 / 418) رقم (3688)، مشكل الآثار للطحاوي: (121 / 2) رقم (529)، (124 / 6) رقم (2204)، مسند الإمام أحمد، تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: (251 / 1) رقم (772)، (130 / 17) رقم (17450)، سنن ابن ماجه: (129 / 3) رقم (877).

(144) البخاري: التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، ط1، ج1، دمشق، دار الفكر، (ب - ت)، ص441، المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط4، ج3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1406هـ - 1985م، ص404، العيني: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ - 2006م، ص69.

(145) عن موسى بن أيوب الغافقي، قال: حدثني عمي إياس بن عامر قال: سألت علي بن أبي طالب τ فقلت: إن لي أختين مما ملكت يميني، اتخذت إحداها سرية فولدت لي أولادًا، ثم رغبت في الأخرى، فما أصنع؟ فقال علي τ : "تعنت التي كنت تطأ ثم تطأ الأخرى". قلت: فإن ناسًا يقولون: بل تزوجها ثم تطأ الأخرى. فقال علي: أرأيت إن طلقها زوجها أو مات عنها أليس ترجع إليك؟ لأن تعنتها أسلم لك. ثم أخذ علي بيدي فقال لي: إنه يجرم عليك ما ملكت يمينك ما يجرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرائر إلا العدد - أو قال: إلا الأربع - ويحرم عليك من الرضاع ما يجرم عليك في كتاب الله من النسب. الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ط1، ج4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ، ص238، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، ج2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م، ص255، السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط1، ج3، بيروت، دار الفكر، ص72.

(146) أخرج البيهقي عن طريق عبد الله بن لبيعة عن موسى بن أيوب عن إياس بن عامر عن علي بن أبي طالب τ قال: «نحي رسول الله ρ عن المتعة فقال: إنما كانت لمن لم يجد، فلما أنزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نسخت». د. عبد الله بن زيد آل محمود: بطلان نكاح المتعة بمقتضى الدلائل من الكتاب والسنة، مقال في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، لسنة (1400هـ)، ج6، ص195.

(147) حدثنا موسى بن أيوب الغافقي، حدثني عمي إياس بن عامر، عن عقبه بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ρ : [فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] قال: "اجعلوها في ركوعكم" ولما نزلت: [سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى] [الأعلى: 1]، قال رسول الله ρ : "اجعلوها في سجودكم". الفسوي:

ومنهم - أيضًا - : عبد الرحمن بن رزين الغافقي: اشتهر بعلم الحديث، رحل إلى الربذة⁽¹⁴⁸⁾ للأخذ عن الصحابي سلمة بن عمرو بن الأكوع⁽¹⁴⁹⁾، وروى عنه حديثًا واحدًا في المسح على الخفين⁽¹⁵⁰⁾. كما سمع محمد بن يزيد بن أبي زياد، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وغيرهم. روى عنه يحيى بن أيوب المصري، والعتاف بن خالد المخزومي⁽¹⁵¹⁾، وغيرهما. ولم أظفر بتاريخ وفاته.

وكان آخرهم: عمران بن عوف الغافقي: سمع عبد الله بن عمر⁽¹⁵²⁾. روى عنه جمع من أهل العلم، ومنهم: سليمان بن زياد، ومصعب الحميري، وموسى بن أبي حملة⁽¹⁵²⁾، وغيرهم. وكان كما يقول العجلي: "من ثقات التابعين المصريين"⁽¹⁵³⁾، كما وثقه ابن حبان⁽¹⁵⁴⁾. وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته.

صفوة القول: أن الغافقيين قد شاركوا في فتح مصر، حتى وصل عددهم ما يقرب من أربعة عشر صحابيًا وتابعيًا، كانوا نواة حقيقية لنشر الدين الإسلامي والعلم الشرعي في ربوع مصر، وبمرور الزمن وجد في مصر طبقة من العلماء أخذوا عن الصحابة والتابعين وعن تابعيهم. وهذا ما سيتضح لنا في الصفحات الآتية.

ثالثًا: علم الحديث

كانت دراسة الحديث في العالم الإسلامي كله تقوم في البداية على روايته عن الصحابة والتابعين، ثم لما كثر الوضع في الحديث بدأ العلماء يُعنون بنقد الرجال، فوضعت أصول نقد السند، كما وضعت أصول نقد المتن واستخلاص السُنن من الأحاديث التي صحت⁽¹⁵⁵⁾.

وقد ظهر في مصر كثير من المحدثين الغافقيين، بعضهم نال حظًا من الشهرة، وبعضهم الآخر كان مغمورًا، لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة وفاته. مع التذكير؛ بأنه قد يرد في القسم الأول من حفظت لنا المصادر

المعرفة والتاريخ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط2، ج2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ - 1981م، ص290، التعليق: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، ج13، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1422هـ - 2002م، ص123، البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، ج8، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ص27، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج7، ص551.

(148) الرَبْدَةُ: من قرى المدينة، على ثلاثة أميال منها قرية من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، بها قبر أبي ذر، حُرِبَ في سنة تسع عشرة وثلاثمائة بالقرامطة. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص24، البغدادي: مرصد الاطلاع، ج2، ص601.

(149) الذهبي: سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، ج3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405هـ - 1985م، ص330.

(150) البخاري: الأدب المفرد: (ص241) حديث رقم (973)، سنن أبي داود: (1/ 197) رقم (136)، سنن ابن ماجه: (2/ 186) رقم (550)، سنن الدارقطني: (2/ 349) رقم (779).

(151) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، ص560، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج6، ص154.

(152) البخاري: التاريخ الكبير، ج6، ص414 رقم (2824)، ابن أبي حاتم الرازي: المحرر والتعديل، ج9، ص299.

(153) معرفة الثقات، ج2، ص41.

(154) الثقات، ج5، ص220.

(155) د. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، ج1، ص136.

التاريخية سنة وفاته ، ولكنه عاش ومات مغمورًا. وبعضهم الآخر صممت المصادر عن ذكر تاريخ وفاته، ولكنه كان علمًا من أعلام علم الحديث في زمانه.

أولاً: عصر الولاة [21 - 254هـ / 641 - 868م]:

والواقع أن مصر في عصر الولاة [21 - 254هـ / 641 - 868م] قد شهدت نشاطاً علمياً بارزاً، نهض به علماء مصريون وغير مصريين، وصارت مصر مركزاً لاجتذاب العلماء والطلاب من الأقطار المجاورة، ويأتي في مقدمتها بلاد المغرب والأندلس، فأثرت مصر على سكانها في العلوم الدينية، والتي يأتي في مقدمتها علم الحديث. من أشهر المحدثين الذين عاشوا في مصر في عصر الولاة؛ موسى بن أيوب بن عامر الغافقي: سمع جماعة من أعلام المحدثين في عصره من أمثال: عكرمة مولى عبد الله بن عباس (25 - 105 هـ / 645 - 723 م)، وسهل بن رافع بن خديج، وعمه: إياس بن عامر الغافقي - سابق الذكر-، وعقبة بن عامر الجهني (المتوفى عام: 58 هـ / 678 م)، وغيرهم¹⁵⁶). انتفع موسى بما سمع حتى صار أحد أعلام المحدثين في الفسطاط ، لذا فقد روى عنه كثير من أهل العلم، مثل: الليث بن سعد (94 - 175 هـ / 713 - 791 م) ، وعبد الله بن لهيعة (97 - 174 هـ / 715 - 790 م)، وعبد الله بن المبارك (118 - 181 هـ / 736 - 797 م)، وعبد الله بن وهب (125 - 197 هـ / 743 - 813 م)، ويحيى بن أيوب¹⁵⁷)، وسليمان بن حسان البغدادي¹⁵⁸)، وغيرهم. حظي موسى بثقة علماء الجرح والتعديل ، فوثقه الإمام يحيى بن معين (158 - 233 هـ / 775 - 848 م)، وابن حبان (المتوفى عام: 354 هـ / 965 م)¹⁵⁹)، وعلي بن المديني (161 - 234 هـ / 777 - 849 م)، وأمثالهم. كما روى عنه أصحاب السنن¹⁶⁰)، توفي موسى بالفسطاط سنة (153 هـ / 770 م)، ودفن بالمقطم¹⁶¹).

ومن أشهر المحدثين الغافقيين المصريين، يحيى بن أيوب الغافقي: طلب العلم صغيراً ، فحفظ القرآن الكريم، ثم سمع الحديث من أئمة علماء الفسطاط¹⁶²)، وعلى رأسهم: يحيى بن سعيد الأنصاري (المتوفى عام: 143 هـ / 760 م) ، ويزيد بن أبي حبيب (53 - 128 هـ / 673 - 745 م)، وحيي بن هانئ بن ناضر، أبو قُبَيْل المعافري المصري (المتوفى عام 128 هـ / 746 م)، وعياش بن عباس القتياني، وغيرهم¹⁶³). لم يكتفِ يحيى بما سمع في الفسطاط

¹⁵⁶) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص 644.

¹⁵⁷) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10، ص 299.

¹⁵⁸) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط 1، ج4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ - 2001م، ص 98.

¹⁵⁹) الثقات، ج 7، ص 449.

¹⁶⁰) سنن أبي داود: (35 / 3) رقم (736) ، (343 / 7) رقم (2340)، سنن ابن ماجه: (129 / 3) رقم (877) ، (6 / 6) رقم (269) رقم (2072) ، سنن النسائي: (349 / 5) رقم (9116) ، (389 / 5) رقم (9226) ، الطبراني: المعجم الكبير: (6 / 466) رقم (7061) ، (12 / 290) رقم (14303).

¹⁶¹) ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 487.

¹⁶²) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، ط 1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ - 1998م، ص 227.

¹⁶³) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ط 3، ج 3، بيروت، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، 1406هـ - 1986م، ص 261، العيني: مغاني الأختيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط 1، ج5، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427 هـ - 2006 م، ص 228.

بل رحل في طلب علم الحديث - كما هي عادة كثير من المحدثين حينئذ - فدخل الشام والعراق ومكة المكرمة والمدينة، وغيرها من الأمصار الإسلامية. سمع خلال هذه الرحلة الطويلة أئمة أعلام المحدثين والفقهاء من أمثال: الإمام مالك ابن أنس (93 - 179 هـ / 712 - 795 م)، والإمام أبي حنيفة النعمان (80 - 150 هـ / 699 - 767 م)، بالإضافة إلى الإمام ربيعة بن عبد الرحمن، المعروف بريعة الرأي (136 هـ / 753 م)، وهشام بن عروة (61 - 146 هـ / 680 - 763 م)، وجريز بن حازم، وغيرهم⁽¹⁶⁴⁾.

كانت رحلة يحيى بن أيوب، مباركة موفقة عاد بعدها إلى الفسطاط، فما لبث طلاب الحديث أن التفوا حوله للأخذ عنه، وذلك لما عُرف به من علو الإسناد، فسمع منه الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن المبارك، وأشهب بن عبد العزيز (145 - 204 هـ / 762 - 819 م)، وسعيد بن أبي مريم (المتوفى عام: 173 هـ / 789 م)، وغيرهم⁽¹⁶⁵⁾. قال ابن يونس: "كان يحيى أحد طلاب العلم، وحدث عنه الغرباء أحاديث ليست عند أهل مصر"⁽¹⁶⁶⁾.

ومع ذلك، فقد اختلف العلماء في الحكم عليه بين موثق ومجرح، فبعض أهل العلم ويأتي في مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل، والإمام النسائي، وابن سعد، والدارقطني، قالوا إنه: "ضعيف"⁽¹⁶⁷⁾. ولعل الطعن الموجه إليه يرجع إلى أنه كان إذا حدث من ذاكرته - بعد كبر سنه - ربما أخطأ. على حين وثقه الإمام يحيى بن معين، وابن حبان، وابن أبي حاتم الرازي، والإمام البخاري⁽¹⁶⁸⁾. ودافعوا عنه بقولهم: "إنه كان - عادة ما - يحدث من كتاب، وروايته صحيحة"⁽¹⁶⁹⁾.

ونظرة متأنية في أقوال العلماء يتضح لنا أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، وأن الطعن الموجه إليه كان بعد كبر سنه وليس في شبابه. يضاف إلى ذلك؛ أنه كان غالبًا ما يروي من كتاب ولم يحدث من ذاكرته إلا قليلاً. وأخيرًا، فإن أصحاب الكتب الستة قد رووا عنه في كتبهم⁽¹⁷⁰⁾. توفي - رحمه الله تعالى - سنة (168 هـ / 784 م) ودفن بالفسطاط، بعد أن ملأ الدنيا علمًا، قال الذهبي: "كان كثير العلم فقيه النفس"⁽¹⁷¹⁾.

⁽¹⁶⁴⁾ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 5، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م، ص17.

⁽¹⁶⁵⁾ ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وآخر، ط2، ج1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ - 1996م، ص335 - 336.

⁽¹⁶⁶⁾ ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج1، ص 506.

⁽¹⁶⁷⁾ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 7، ص 516، أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، ط1، ج3، الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، 1406هـ - 1986م، ص 148.

⁽¹⁶⁸⁾ ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج 13، ص 127، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 11، ص 164.

⁽¹⁶⁹⁾ ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، ج 1، ص 336، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج 1، ص 90.

⁽¹⁷⁰⁾ الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج 2، ص 362.

⁽¹⁷¹⁾ الذهبي: العبر، ج 1، ص 45.

وأما الماضي بن محمد بن مسعود الغافقي: فكان من المحدثين المغمورين بالديار المصرية، وكان يعمل في مهنة نسخ المصاحف⁽¹⁷²⁾. سمع هشام بن عروة (61 - 146 هـ / 680 - 763 م)، ومحمد بن عمرو بن علقمة، والليث بن أبي سليم، كما سمع مالك بن أنس؛ وروى عنه كتابه الموطأ.

لم يحظ الماضي بثقة العلماء، فقد جرّحه كثير من أهل العلم⁽¹⁷³⁾، ولم يرو عنه سوى عبد الله ابن وهب في جامعه، وابن ماجه في سننه، وابن حبان في صحيحه⁽¹⁷⁴⁾. توفي بالفسطاط سنة (183 هـ / 799 م)، ودفن بجبل المقطم⁽¹⁷⁵⁾.

ومن المحدثين الغافقيين المغمورين - أيضاً - : عثمان بن عتيق الغافقي، اشتغل بعلم الحديث، ورحل من أجله إلى العراق⁽¹⁷⁶⁾، ولم يرو عنه سوى عدد قليل، ويأتي في مقدمتهم، عبد الله بن وهب، وعثمان بن صالح، وإسحاق بن الفرات⁽¹⁷⁷⁾. توفي عثمان سنة (184 هـ / 800 م) ودفن بالفسطاط⁽¹⁷⁸⁾.

ومنهم: إسحاق بن يزيد بن أبي السكن الغافقي: كان من المغمورين في دراسة الحديث، قال عنه ابن يونس: "كان مؤذناً في المسجد العتيق (عمرو بن العاص) بمصر، وكان مقبولاً عند القضاة"⁽¹⁷⁹⁾. توفي في عام (224 هـ / 838 م).

ومن عاش في مصر في عصر الولاة : عباس بن الوليد بن عبد الملك الغافقي، كان من موالي غافق، وعرف بـ "النقي"⁽¹⁸⁰⁾، توفي في ربيع الآخر سنة (232 هـ / 846 م)، ولم أظفر برواية له⁽¹⁸¹⁾. ولم تكد تمر سنتان على وفاة عباس بن الوليد حتى فجعت الفسطاط بوفاة المحدث: عمرو ابن عمرو بن يزيد الغافقي، المتوفى عام (234 هـ / 848 م). كان من موالي غافق أيضاً. اشتغل بعلم الحديث، فسمع الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة. وكان أشهر من روى عنه: يحيى بن عثمان بن صالح⁽¹⁸²⁾.

⁽¹⁷²⁾ السمعاني: الأنساب، ج 1، ص 498، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 422.

⁽¹⁷³⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 12، ص 352، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج 10، ص 3.

⁽¹⁷⁴⁾ صحيح ابن حبان: (3 / 403) رقم (705)، سنن ابن ماجه: (12 / 263) رقم (4208).

⁽¹⁷⁵⁾ الهمداني: عمالة المبتدى، ص 10، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج 1، ص 91.

⁽¹⁷⁶⁾ المقرئزي: الخطط، ج 3، ص 69، ابن حجر: تبصير المنتبه، ج 1، ص 251.

⁽¹⁷⁷⁾ السمعاني: الأنساب، ج 2، ص 205، الزبيدي: تاج العروس، ج 26، ص 126.

⁽¹⁷⁸⁾ ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 339.

⁽¹⁷⁹⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 1، ص 196، السمعاني: الأنساب، ج 2، ص 34، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 40. ولم أعرثر على

ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

⁽¹⁸⁰⁾ ابن ماكولا: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 511، السمعاني: نفس المصدر، ج 5، ص 521.

⁽¹⁸¹⁾ ابن حجر: تبصير المنتبه، ج 1، ص 108، ابن يونس: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 258.

⁽¹⁸²⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 17، ص 290، ولم أعرثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

ولم يكد ينتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبالتحديد في عام(245هـ/ 859م) حتى فقدت مصر الميخنة: عبد الواحد بن يحيى بن خالد الغافقي: المعروف بـ "سواده". سمع ضمام بن إسماعيل، ورشدين بن سعد، وعبد الله بن وهب. روى عنه جماعة من أهل العلم كان آخرهم عبد الكريم بن إبراهيم بن حبان⁽¹⁸³⁾.

ثانياً: عصر الدولة الطولونية (254 - 292هـ / 868 - 905م):

سقطت الدولة الأموية في سنة(132هـ/ 749م)، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية التي امتد حكمها خمسة قرون. وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى عصرين متميزين، العصر العباسي الأول، وقد استمر مائة عام (132 - 232هـ / 749 - 847م)، وتميزت فيه الدولة العباسية بالقوة، وكانت حكومة بغداد حكومة مركزية، والخليفة يحكم دولته حكماً مطلقاً. أما العصر العباسي الثاني (232 - 656هـ / 847 - 1258م)، فمن أهم مميزاته أن الخليفة العباسي لم يعد صاحب السلطة المطلقة ، بل انقسمت الدولة إلى دول مستقلة تخضع للخليفة العباسي خضوعاً اسمياً.

وفي هذا العصر استفحل نفوذ الأتراك، واستبدوا بالسلطة دون الخلفاء العباسيين، وفي تلك الفترة كان الخلفاء يولون حكم مصر لبعض الأتراك، لكن هؤلاء كانوا لا يفضلون الابتعاد عن بغداد، خشية إبعادهم عن مسرح الأحداث السياسية، ويكتفون بإرسال من ينوب عنهم في حكم مصر. ومن هؤلاء النواب الذين قدموا إلى مصر سنة(254هـ/ 868م) أحمد بن طولون.

نجح أحمد بن طولون في تأسيس أول دولة مستقلة في مصر، والتي حكمت مصر ثمانية وثلاثين عاماً، انتعشت فيها البلاد، وانتشر في ربوعها الأمن والاستقرار والرخاء، وازدهرت أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية؛ لذا فقد نبغ في عهد الدولة الطولونية عدد كبير من الفقهاء والميخنة. يأتي في مقدمتهم: عيسى بن إبراهيم بن عيسى بن مثنود⁽¹⁸⁴⁾ الغافقي، المولد بأرض مصر في سنة(70هـ/ 786م). حفظ القرآن الكريم صغيراً وجوّده ، ثم طلب علم الفقه، واشتغل به فترة ليست بالقصيرة، مما جعل الإمام الذهبي يقول عنه: "الإمام الفقيه الميخنة"⁽¹⁸⁵⁾.

حُجِبَ إلى عيسى دراسة علم الحديث ، فسمع من أئمة الميخنة في زمانه ، من أمثال: سفيان بن عيينة (107 - 198 هـ / 725 - 814 م) ، وعبد الرحمن بن القاسم(132 - 191 هـ / 750 - 806 م)، وعبد الله بن وهب، وغيرهم⁽¹⁸⁶⁾. ثم ما لبث أن اشتهر برواية الحديث بين أقرانه، فأقبل طلاب العلم إليه يأخذون عنه، فكان من أشهرهم، الإمام أبو جعفر الطحاوي (239 - 321 هـ / 853 - 933 م) ⁽¹⁸⁷⁾،

⁽¹⁸³⁾ السمعاني: الأنساب، ج 4، ص277، الذهبي: نفس المصدر، ج 18، ص 336.

⁽¹⁸⁴⁾ يقال ثوب مثنود: إذا عُمس في الصَّبغ. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ط 1، ج1، بيروت، المكتبة العلمية ، 1399هـ - 1979م، ص 227، ابن منظور: لسان العرب، ط3، ج3، بيروت، دار صادر، 1414 هـ، ص 102.

⁽¹⁸⁵⁾ سير أعلام النبلاء، ج 12، ص 362.

⁽¹⁸⁶⁾ السمعاني: الأنساب، ج 1، ص 88، ابن حجر: تبصير المنتبه، ج 2، ص 118 ، وكتابه: تقريب التهذيب، ج 1، ص 769، وكتابه: تهذيب التهذيب، ج 8، ص 184.

⁽¹⁸⁷⁾ د. سليمان الحرشي: من أعلام الإسلام : الإمام الطحاوي ، مقال في مجلة البيان، العدد(238)، ج 7، ص 11.

وأحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي، وركريا بن يحيى الساجي (220 - 307 هـ / 835 - 920 م) ،
 وأبو بكر بن خزيمة (223 - 311 هـ / 838 - 924 م)، وغيرهم⁽¹⁸⁸⁾. كما حظي عيسى بثقة أهل العلم؛
 قال الإمام النسائي: " لا بأس به"، وقال ابن يونس الصديقي: " ثبت، ثقة" ⁽¹⁸⁹⁾. هذه الثقة جعلت كثيراً من أئمة
 علماء الحديث يروون عنه في كتبهم⁽¹⁹⁰⁾. مات (261 هـ / 874 م) ودفن بالفسطاط⁽¹⁹¹⁾.

ومن المحدثين الغافقين الذين عاشوا في ظل الدولة الطولونية: أحمد بن الفرخ بن شاكر الغافقي، كان من
 المغمورين. وقد انفرد الإمام الذهبي بذكره، فقال عنه: " روى عن سعيد بن أبي مرثم" ⁽¹⁹²⁾.

ومن عاش في تلك الفترة المحدث: عفيف بن عبيد بن عفيف الغافقي، المكنى بأبي عبيد الدّهني، روى عن
 فضالة بن المفضل، وغيره⁽¹⁹³⁾. ذكر الزبيدي: أنه توفي سنة (181 هـ / 897 م)⁽¹⁹⁴⁾، على حين يؤكد ابن يونس
 الصديقي: أنه توفي في شوال سنة (281 هـ / 894 م) وقال: " كذا قرأت على بلاطة قبره" ⁽¹⁹⁵⁾. وأعتقد أن رأي
 ابن يونس هو الصحيح ؛ لأنه المؤرخ المصري الخبير بأحوال مصر جيداً، وقد قرأ بنفسه تاريخ الوفاة على بلاطة
 القبر، مما يؤكد لنا صحة قوله، وأظن أن الزبيدي - أو الناسخ - ربما أخطأ في نقله.

بعد سقوط الدولة الطولونية عادت مصر مرة ثانية إلى حكم الخلافة العباسية مباشرة، وعاد الولاة يعينون من
 قبل الخليفة العباسي في بغداد، وخلال تلك الفترة ظهرت مجموعة من المحدثين الغافقين المغمورين، منهم: عبد
 الله بن إسحاق الغافقي: المكنى بـ"أبي محمد"، المعروف بـ" ابن سحقون" ⁽¹⁹⁶⁾، المصري المولد والمنشأ. أشهر من
 روى عن الإمام الفقيه حزملة بن يحيى التّجّيبّي (166 - 243 هـ / 782 - 858 م)⁽¹⁹⁷⁾، سمع منه ابن يونس
 الصّديقي (281 - 347 هـ / 894 - 958 م)، المؤرخ المصري الشهير، وقال: " توفي في شهر المحرم سنة
 (303 هـ / 915 م)" ⁽¹⁹⁸⁾.

⁽¹⁸⁸⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 20، ص 145، وكتابه: ميزان الاعتدال، ج 3، ص 310.
⁽¹⁸⁹⁾ ابن أبي حاتم الرازي: الجرح و التعديل، ج 6، ص 272، العيني: مغاني الأخبار، ج 3، ص 497، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص
 387.

⁽¹⁹⁰⁾ الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج 2، ص 108، وانظر: سنن النسائي: (3 / 318) رقم (810)، (8 / 441) رقم
 (2578)، (8 / 494) رقم (2611)، المعجم الكبير للطبراني: (19 / 326) رقم (795)، المعجم الأوسط للطبراني: (4 / 472) رقم (2013)، (9 /
 322) رقم (4269).

⁽¹⁹¹⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 1، ص 8، السيوطي: حُسن المحاضرة، ج 1، ص 94.

⁽¹⁹²⁾ تاريخ الإسلام، ج 20، ص 271. ولم أعر على ترجمة واقية له فيما تحت يدي من مصادر.

⁽¹⁹³⁾ السمعاني: الأنساب، ج 2، ص 518.

⁽¹⁹⁴⁾ تاج العروس، ج 35، ص 44.

⁽¹⁹⁵⁾ تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 344.

⁽¹⁹⁶⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 4، ص 266، ابن حجر: تبصير المنتبه، ج 1، ص 349.

⁽¹⁹⁷⁾ الزبيدي: تاج العروس، ج 25، ص 435.

⁽¹⁹⁸⁾ تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 260.

ومنهم: محمد بن عيسى بن إبراهيم بن مشرود: المعروف بأبي بكر المصري، روى عن أبيه - سبق ذكره - وعن يحيى بن بكير، وغيرهما⁽¹⁹⁹⁾. توفي في عام (303هـ / 915م).

ومن عاش خلال تلك الفترة: جعفر بن أحمد بن علي الغافقي: المعروف بـ "ابن أبي العلاء المصري". روى عن عبد الله بن يوسف التَّنيسي، ويحيى بن بكير (142 - 226 هـ / 759 - 840 م)⁽²⁰⁰⁾، وغيرهم.

لم يسلم جعفر من الجرح فقد اتهم بأنه رافضي المذهب، قال ابن عدي: "كتبْتُ عنه بمصر... وحدثنا بأحاديث موضوعة، وكنا نتهمه بوضعها، بل نتيقن في ذلك"⁽²⁰¹⁾. ويبدو أن النقد لم يقتصر على ابن عدي وحده، بل شاركه فيه كثير من المحدثين والمؤرخين، يقول الدارقطني: "لا يساوي شيئاً" وقال أيضاً: "كان يضع الحديث، ويحدث بالأباطيل"⁽²⁰²⁾. وقال ابن يونس الصديقي: "كان رافضياً يضع الحديث"⁽²⁰³⁾، وذكره ابن الجوزي في كتاب "الموضوعات"، وقال: "كان قدرياً يضع الحديث على مذهبه" ثم ذكر أسباب تضعيفه⁽²⁰⁴⁾، وقال ابن حجر: "وعامة أحاديثه موضوعة، وكان قليل الحياء في دعاويه على قوم لم يلحقهم، وفي وضع مثل هذه الأحاديث الركيكة، وفيها ما لا يشبه كلام رسول الله (ﷺ)"⁽²⁰⁵⁾.

صفوة القول: أن جعفر بن أحمد بن علي الغافقي، كان ضعيف الرواية، وأن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه. وقد توفي في عام (304هـ / 916م)، ودفن بالمقطم.

ومنهم: إبراهيم بن إسماعيل بن الفرغ الغافقي: كان يعرف بـ "العدي"، روى عن الحارث ابن مسكين، وغيره⁽²⁰⁶⁾. عاش بالفسطاط، ومات بها سنة (307هـ / 919م).

ومن المحدثين المغمورين: الحسين بن علي بن عبد الواحد الغافقي: سبق ذكر جده. كان يُعرف بـ "أعمى قديد"، سمع الإمام يونس بن عبد الأعلى الصَّديقي (170 - 264 هـ / 787 - 877 م)، وغيره⁽²⁰⁷⁾. توفي في عام (310هـ / 922م)

⁽¹⁹⁹⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 128، المقرئ: المقفى الكبير، ج 6، ص 464، ابن يونس: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 460. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

⁽²⁰⁰⁾ الذهبي: نفس المصدر، نفس الجزء، ص 139.

⁽²⁰¹⁾ ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، ط 1، ج 2، بيروت، الكتب العلمية، 1418هـ - 1997م، ص 161.

⁽²⁰²⁾ الذهبي: ميزان الاعتدال، ج 1، ص 400.

⁽²⁰³⁾ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 4، ص 16، برهان الدين الحلبي: الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط 1، بيروت، مكتبة النهضة العربية، 1407 هـ - 1987م، ص 85.

⁽²⁰⁴⁾ ابن الجوزي: الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط 1، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، 1388 هـ - 1968م، ج 1، ص 184، 190، 340، ج 3، ص 23، 31، 104.

⁽²⁰⁵⁾ ابن حجر: لسان الميزان، ج 1، ص 250.

⁽²⁰⁶⁾ المقرئ: المقفى الكبير، ج 1، ص 104، ترجمة رقم (56)، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحت يدي من مصادر.

⁽²⁰⁷⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 7، ص 103، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 5، ص 346. ولم أعثر على ترجمة وافية له تحت يدي من مصادر.

ثالثًا: عصر الدولة الإخشيدية (323 - 358هـ / 935 - 969م):

ينسب الإخشيديون إلى محمد بن طعج الإخشيد، من أولاد ملوك فرغانة⁽²⁰⁸⁾ في بلاد ما وراء النهر. اتصل محمد بن طعج بخدمة أبي منصور تكين والي مصر، وشاركه في قتال الفاطميين أثناء المحاولات التي قاموا بها لدخول مصر، وأبدى شجاعة في الحروب التي خاضها ضدهم، واستطاع بذلك أن يجوز ثقة الخلافة العباسية وتقديرها، فكافأه الخليفة الراضي بأن ولده حكم مصر سنة (323هـ / 935م)، وبذلك قامت الدولة الإخشيدية التي قدر لها أن تحكم مصر نحو أربعة وثلاثين عامًا.

شهدت مصر في عصر الدولة الإخشيدية - رغم قصره - نشاطاً مزدهراً في ميادين الآداب والعلوم. فقد تميز عهد الإخشيديين بظهور عدد من أعلام المحدثين المصريين كان لهم نشاط ملحوظ في مجال إثراء الحركة العلمية. ومن أشهر أعلام المدرسة المصرية في علم الحديث خلال تلك الفترة عبد العزيز بن أحمد ابن الفرج الغافقي:

سمع جماعة من أهل العلم، منهم: محمد بن زيدان الكوفي، وبكار بن قُتَيْبَة (182 - 270 هـ / 798 - 884 م)، وإبراهيم بن مرزوق⁽²⁰⁹⁾. كما سمع من الإمام علي بن شيبه بن الصلت، المعروف بـ"أبي الحسن السدوسي" البغدادي الأصل، الذي رحل إلى مصر وأقام فيها مدة ليست بالقصيرة، لازمه خلالها عبد العزيز، وسمع منه كل مروياته⁽²¹⁰⁾. كما أخذ عن المحدث - البغدادي الأصل - الإمام يحيى بن الفضل، المعروف بـ"أبي محمد الكاتب"، أثناء إقامته بمصر⁽²¹¹⁾.

هكذا كانت حياة عبد العزيز الغافقي جاداً في طلب العلم، وملازماً للعلماء، آخذاً عنهم، ومنتفعاً بعلمهم وسمتهم، كل ذلك أهله لأن يتصدر التحديث في زمانه. فإذا أضفنا إلى ذلك توثيق العلماء له، عرفنا - حينئذ - أسباب رحلة طلاب العلم إلى الفسطاط للأخذ عنه، وكان من أشهرهم: الحسين بن محمد بن أحمد، المعروف بـ"أبي علي النيسابوري" المتوفى عام: 350هـ / 961م، والذي كانت له رحلة طويلة في طلب العلم، فنزل حلب⁽²¹²⁾، ودمشق⁽²¹³⁾، وصيدا⁽²¹⁴⁾، ثم اختتم رحلته بمصر للأخذ عن عالمها عبد العزيز الغافقي⁽²¹⁵⁾.

⁽²⁰⁸⁾ فرغانة: مدينة واسعة ببلاد ما وراء النهر، كثيرة الخيرات تبعد عن سمرقند بنحو خمسين فرسخاً، يرجع بناؤها إلى الملك كسرى أنوشروان. وتمتاز بأن الجبال والصحاري تحيط بها من جميع الجهات، ومع ذلك فالمصادر تجمع على أنها ذات نعم وفيرة، ومياه جارية، وضياع كثيرة. وفي العصر الحديث وبالتحديد في عام 1876م وقعت فرغانة تحت الاحتلال الروسي، وأطلق عليه [خانية خوقند]. وبعد الثورة الروسية، أعادت إليها الحكومة الروسية رسمياً اسمها القديم فرغانة، والتي مازالت تعرف به حتى اليوم. الإصطخري: المسالك والممالك، ص167، ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص70، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص486.

⁽²⁰⁹⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج25، ص77.

⁽²¹⁰⁾ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج5، ص217.

⁽²¹¹⁾ الخطيب البغدادي: نفس المصدر، ج6، ص269.

⁽²¹²⁾ حلب: مدينة عتيقة رومية، فيها أبنية مكينة، وهي بلد حسن في وطاء من الأرض، وله مرفأ جيد محكم، وقلعتان متصلتان على تل مشرف على

الربض. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص282، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 183، البغدادي: مرآة الاطلاع، ج3/ ص1194.

⁽²¹³⁾ دِمَشْقُ: هي جنة الشام، لحسن عمارتها وبقعتها وكثرة أشجارها وفواكهها، ومياهها المتدفقة في مساكنها وأسواقها وجامعها ومدارسها. قيل:

سميت بذلك؛ لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. وقيل: هو اسم واضعها، وهو دمشق بن كنعان. وقيل غير ذلك، وهي مشهورة. ياقوت الحموي:

المصدر السابق، ج2، ص463، البغدادي: المصدر السابق، ج2، ص534.

وعلى الرغم من الشهرة التي حققها الإمام عبد العزيز، إلا أنه لم يترك لنا كتابًا نقف به على طريقتة في التأليف، ولعله - يرحمه الله تعالى - قد اكتفى بالتدريس. توفي في شهر جمادى الأولى، عام (332هـ / 943م)، ودفن بجبل المقطم.

رابعًا: المُحدِّثون المغمورون:

إلى جانب هؤلاء المُحدِّثين، فقد حفظت لنا مصادرنا التاريخية مجموعة من الرواة الغافقين، ولكنها صمتت عن ذكر تاريخ وفاتهم - مع شهرة بعض منهم - لذا فقد رتبتهم على حروف المعجم، وهم كالتالي:

1. إبراهيم بن الأغلب الغافقي البحري: سمع الحديث من أبي الحسن الأنصاري، وأشهر من سمع منه: عبد الرحمن بن الحسين بن الخطاب، وعساكر بن علي البري، وغيرهم⁽²¹⁶⁾.
2. إسماعيل بن فليح العُمري الغافقي: سمع الحديث بمصر، وأشهر من روى عنه: يحيى بن عثمان بن صالح⁽²¹⁷⁾.
3. إسماعيل بن نشيط الغافقي: سمع الحديث من أئمة عصره من أمثال: عبد الله بن وهب، شهر بن حوشب (20 - 100 هـ / 641 - 718 م)، وجميل بن عمار، وهب بن مُنَّبه (34 - 114 هـ / 654 - 732 م)، وغيرهم. اختلاف العلماء في الحكم عليه بين مجرح وموثق، فوثقه ابن حبان⁽²¹⁸⁾، وأبو زرعة الرازي⁽²¹⁹⁾، كما دافع عنه الإمام الذهبي⁽²²⁰⁾، وابن حجر⁽²²¹⁾. على حين غمزه ابن عدي بقوله: "كان عزيز الحديث جدًّا، ولا يقع في حديثه ما فيه حكم، ولا يروي من الحديث إلا القليل"⁽²²²⁾. وإن كنت أرى أن الحكم للرجل أكثر من الحكم عليه، فلم يطعن في روايته سوى ابن عدي، وحتى ألفاظه غامضة لا توحى بالطعن الصريح. ومع ذلك فقد سمع منه جماعة من أهل العلم، منهم: يونس بن بُكَيْر (المتوفى عام: 199 هـ / 815 م)، وعبيد الله بن موسى، وعيسى بن موسى المعروف بـ "عُنْجَار"⁽²²³⁾ (337 - 412 هـ / 948 - 1028 م) مؤرخ بلاد ما وراء النهر [جمهوريات آسيا الوسطى حاليًا]، وغيرهم. وللأسف لم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

⁽²¹⁴⁾ صَبْدًا: سميت بذلك لكثرة السمك الذي كان يصاد بها، وهي المدينة التي تقع بالساحل من أرض الشام. ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 179، البغدادي: المصدر السابق، ج 1، ص 51.

⁽²¹⁵⁾ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، ط 1، ج 3، بيروت، دار الفكر، [بدون - تاريخ]، ص 88.

⁽²¹⁶⁾ المقرئ: المقفى الكبير، ج 1، ص 111.

⁽²¹⁷⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 4، ص 11، السمعاني: الأنساب، ج 4، ص 309، ابن حجر: تبصير المنتبه، ج 2، ص 17، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 43.

⁽²¹⁸⁾ الثقات، ج 6، ص 43.

⁽²¹⁹⁾ المرح والتعديل، ج 2، ص 202.

⁽²²⁰⁾ ميزان الاعتدال، ج 1، ص 252.

⁽²²¹⁾ لسان الميزان، ج 1، ص 183.

⁽²²²⁾ الكامل في ضعفاء الرجال، ج 1، ص 179.

⁽²²³⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 9، ص 70.

4. حكيم بن سعد الدَّهْنِي الغافقي: قال عنه الهمداني: "كان فصيحًا عالمًا"⁽²²⁴⁾، وأضاف السمعاني: "كانت له منزلة وقبول عند الناس"⁽²²⁵⁾.
5. خالد بن زياد الغافقي: قال ابن يونس: "من أهل مصر، اشتغل بعلم الحديث"⁽²²⁶⁾.
6. عبد الله بن رافع الغافقي: قال عنه ابن سعد: "له أحاديث ، وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك] 105 - 125 هـ / 724 - 743 م[⁽²²⁷⁾.
7. عبد الله بن محمد بن حكيم بن سعد الدَّهْنِي الغافقي: حدث عن أبيه عن جده، وكان ثقة ، مقبولاً⁽²²⁸⁾.
8. عيسى بن أبي الزبير الغافقي: كان من رواة الحديث⁽²²⁹⁾، وقال السمعاني: "كان له ذكر وشرف"⁽²³⁰⁾.
9. موسى بن أبي حملة الغافقي: كان من ثقات المحدثين⁽²³¹⁾، سمع عمران بن عوف الغافقي، روى عنه عبد الله بن وهب⁽²³²⁾.
10. وداعة الحميدي الغافقي: روى حديثاً واحداً⁽²³³⁾ عن مالك بن عباد، المعروف بـ"أبي موسى الغافقي". وثقه علماء الجرح والتعديل⁽²³⁴⁾، وأشهر من روى عنه: يحيى بن ميمون الحضرمي (المتوفى عام 114 هـ / 732 م)⁽²³⁵⁾.

وفي نهاية هذا البحث لي عدة ملاحظات، أجملها فيما يلي:

-
- ⁽²²⁴⁾ عمالة المبتدى، ص 18.
 - ⁽²²⁵⁾ الأنساب، ج 2، ص 518.
 - ⁽²²⁶⁾ الهمداني: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 149.
 - ⁽²²⁷⁾ الطبقات الكبرى، ج 7، ص 514.
 - ⁽²²⁸⁾ السمعاني: المصدر السابق، نفس الجزء، ص 518، الزبيدي: تاج العروس، ج 35، ص 44، ابن يونس: تاريخ ابن يونس، ج 1، ص 135.
 - ⁽²²⁹⁾ ابن ماكولا: الإكمال، ج 3، ص 109.
 - ⁽²³⁰⁾ الأنساب، ج 2، ص 200.
 - ⁽²³¹⁾ ابن حبان: الثقات، ج 7، ص 451.
 - ⁽²³²⁾ البخاري: التاريخ الكبير، ج 7، ص 281.
 - ⁽²³³⁾ عن وداعة الغافقي قال كنت بجنب مالك بن عتاهية الغافقي، وعقبة بن عامر إلى جنبه يحدث عن النبي (p) قال مالك: "إن صاحبكم هذا لغافل أو هالك إن رسول الله (p) عهد إلينا في حجة الوداع فقال: "عليكم بالقرآن وسترجعون إلى أقوام سيبلغون الحديث عني فمن عقل شيئاً فليحدث به، ومن قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيئاً أو مقعده في جهنم". القاسم بن سلام: (أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، المتوفى عام: 224/838م): فضائل القرآن، ط 1، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، دمشق، دار ابن كثير، 1415 هـ - 1995م، ص 31)، الطبراني: المعجم الكبير: ج 14، ص 206، رقم (16013). قال الإمام الألباني: "وعلى ذلك فينبغي أن ننظر في حال (وداعة الحمدي) هذا، فأقول: لم يذكر فيه أكثر مما في هذا الإسناد: أنه روى عن مالك بن عباد، وعنه يحيى بن ميمون. هكذا في كتاب البخاري وابن أبي حاتم و" ثقات ابن حبان"، ذكره أولاً في (التابعين)، وقال (496/5): "عداده في أهل مصر والشام، روى عنه أهلها ويحيى بن ميمون" ثم ذكره ثانياً في (أتباع التابعين)، وقال (566/7): "وداعة الغافقي - مكان: (الحمدي) - روى عن أبي موسى الغافقي، روى عنه يحيى بن ميمون" ويتلخص مما ذكر: أن الرجل مجهول لا يعرف إلا بهذه الرواية، فهو علة هذا الحديث. الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط 1، ج 13، الرياض، دار المعارف، 1412 هـ / 1992م، ص 910.
 - ⁽²³⁴⁾ ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج 13، ص 49، ابن حبان: الثقات، ج 7، ص 566.
 - ⁽²³⁵⁾ البخاري: التاريخ الكبير، ج 8، ص 188.

أولاً: أن الغافقين كان لهم اهتمام كبير بعلم الحديث، مقارنة بباقي العلوم الأخرى، فقد وصل عددهم إلى نحو (سبعة وعشرين) محدثاً، ولكن معظمهم كان من المحدثين المغمورين. نعم، روى عنهم كثير من أصحاب السنن، ولكني لم أجد فيهم محدثاً مشهوراً يسطع نجمه في سماء مصر، فيلتفت الناس حوله، ويرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه، والسماع منه.

ثانياً: إذا نظرنا إلى هذه الأرقام من منظور إحصائي، فإننا نجد أن عدد المحدثين في القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) قد وصل إلى نحو (أربعة) المحدثين، يأخذ هذا العدد في الارتفاع أثناء القرن (الثالث الهجري / التاسع الميلادي) ليصل إلى نحو (سبعة) المحدثين، ثم يعاود الانخفاض مرة ثانية خلال القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ليصل إلى نحو (ستة) المحدثين فقط.

هذا ولم يدخل في حساباتنا من لم أعتز على تاريخ وفاته، وإلا فإن هذا الإحصاء سوف يتغير جملة وتفصيلاً. وعلى كل، فإن هذه نتيجة طبيعية تتماشى مع حركة الفكر الإسلامي؛ وذلك لأن القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، كان القرن الذهبي لعلم الحديث، فقد ظهر فيه علماء الأمة الأفاضل الذين جاوبوا الآفاق لجمع الحديث. وفيه أيضاً ظهرت معظم كتب السنن المرتبة والمبوبة، كما سطع فيه نجم علماء الجرح والتعديل، الذين لم يتركوا شاردة أو واردة إلا قاموا بفحصها والتعليق عليها.

ثالثاً: من الملاحظ أن الغافقين لم يصنفوا لنا كتباً في علم الحديث أو في إحدى علومه، فلم أعتز على مُصنّف واحد يحمل اسم أحدٍ منهم، وهي ظاهرة تستحق الدراسة من قِبل الباحثين في علوم السنن. ولعل المحدثين الغافقين قد اكتفوا بالتحديث، ولم يشغلوا أنفسهم بالتأليف. أو لأن كتب السنن كانت قد دونت بالفعل، فلم يريدوا أن ينقلوا المكتبة الإسلامية بمؤلفات مكررة، لم تضيف شيئاً في هذا العلم.

رابعاً: أن المحدثين الغافقين، على الرغم من قلة شهرتهم، إلا أنهم قد ظفروا بتوثيق علماء الجرح والتعديل، هذا باستثناء بعض الأفراد القلائل الذين وجه إليهم بعض النقد، أما الباقون فكانوا من ثقات المحدثين، وقد روى عنهم أصحاب السنن في كتبهم.

خامساً: أن المحدثين الغافقين والذين وصل عددهم إلى (سبعة وعشرين) محدثاً - وهذا عدد كبير بلا شك - لم أعتز على تاريخ وفاة (عشرة) منهم، وهذا يعني أن ما يقرب من ثلث المحدثين الغافقين يعد من المغمورين الذين لم يشغلوا بال المؤرخين قديماً.

سادساً - وأخيراً: أن جميع المحدثين الغافقين كانوا محبين لمصر جداً، بل حمل بعضهم لقب "المصري"، فلم يرحلوا عنها إلى أي قطر آخر. وذلك باستثناء بعض النماذج القليلة التي رحلت إلى بلاد الشام أو الحجاز لطلب العلم، ولكنها سرعان ما عادت مرة ثانية لتعيش في أرض مصر وتستظل بسماؤها وتدفن في ترابها.

رابعاً: علم الفقه

يعد الفقه من أبرز فروع العلوم الدينية التي اشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتسيير شؤون المسلمين، ووضع الضوابط الحكيمة بين الرعايا في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم الدينية.

ويُعرّف الفقه لغة، بأنه: الفهم مطلقاً. سواء كان المفهوم دقيقاً أم غير دقيق، وسواء كان غرضاً لمتكلم أم غيره. وفي الاصطلاح، هو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"⁽²³⁶⁾. ويعرفه ابن خلدون بقوله: " هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكرهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"⁽²³⁷⁾.

وقد وجد الفقه في مصر منذ دخلها المسلمون، وقد عُرف بين العرب في مصر عدد من المجهتهدين الذين أفتوا الناس من القرآن الكريم وبما رأوه من الحديث الشريف⁽²³⁸⁾. وقد سبق الحديث عن الصحابة الذين نزلوا مصر واستقروا فيها ، وأخذ عنهم كثير من التابعين، وهكذا بمرور الزمن وجدت في مصر طبقة من العلماء أخذوا عن الصحابة والتابعين وعن تابعيهم.

وقد ظهر في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان المتوفى سنة (150هـ/ 767م)، ومذهب الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة (179هـ/ 795م)، فانحاز إلى كل مذهب فريق من المسلمين. وكذلك كان الحال في مصر، فقد انقسم المصريون قسمين، قسم تبع مذهب أبي حنيفة، وآخر تبع مذهب مالك، وحدث بين أتباع المذهبين نزاع ونقاش.

ونلمح منحىً جديداً في دراسة الجانب العلمي لقبيلة غافق، فقد ظهر من بين أبناء هذه القبيلة من اعتنق المذهب الليثي، إلى جانب فقهاء المالكية، والشافعية. وهم كالتالي:

أولاً: فقهاء المالكية:

من أشهر فقهاء المالكية في مصر خلال عصر الولاية، أحمد بن موسى بن مخلد الغافقي: ولد سنة (207هـ/ 822م) بالفسطاط ، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم رحل في طلب العلم إلى بلاد المغرب العربي، فنزل بمدينة القيروان⁽²³⁹⁾، وأقام بها فترة ليست بالقصيرة، لازم فيها الإمام سحنون بن سعيد(160 - 240 هـ / 777 - 854 م) حتى صار من أخص تلامذته. كما سمع من أقرانه من أمثال: عبد العزيز بن يحيى المدني، وهارون بن سعيد الأيلي، وأبي إسحاق البرقي، وغيرهم⁽²⁴⁰⁾.

انتفع أحمد بما سمع من العلم، فكان زاهداً ، ورعاً، متعبداً، فاضلاً ، ثم صار مضرب المثل بين أقرانه ، مما جعل طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه ، ومنهم: أبو القاسم بن تمام، وعبد الله بن مسرور، ومحمد بن

⁽²³⁶⁾ محمد الخضر حسين: تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة الأولى، دولة لبنان، دار الكتب العلمية، 1988م، ص 96 .

⁽²³⁷⁾ ابن خلدون: المقدمة، الطبعة الأولى، ج3، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 947.

⁽²³⁸⁾ د. هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، ج2، ص 149.

⁽²³⁹⁾ القَيْرَوَان: مدينة عظيمة بإفريقية، مصرت في الإسلام في أيام معاوية بن أبي سفيان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4، ص 420،

البغدادى: مراد الاطلاع، ج3، ص1139

⁽²⁴⁰⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 22، ص 76.

يونس السدري، ولقمان بن يوسف. ويطول بي المقام لو ذكرت جميع تلامذته، وأكتفي بما قاله القاضي عياض:" وتلامذته غير واحد من الأجلة ، وعالم كثير" (241).

ومن الجدير بالذكر، أن الإمام أحمد عُرض عليه القضاء ، فأبى خوفاً من أن يظلم أحداً ، أو يميل بفتواه إلى الولاة، ولكنه اكتفى بالتعليم، فسَطع نجمه في سماء العلم، وذاع صيته بين الفقهاء، حتى قال ابن فرحون عنه:" كان فقيهاً، عالماً، ثباً، ضابطاً، حسن التقييد" (242).

وعلى الرغم من كل هذا العلم الذي حصله الإمام أحمد، لم يترك لنا مُصنفاً واحداً يحمل اسمه. ولكن ذكرت لنا كتب طبقات المالكية كثيراً من المسائل الفقهية التي وجهت إليه من بعض تلامذته ، نلمح فيها زهده و ورعه وشفقته على الناس، مع القطع في الإجابة، والتعبير بأقل الألفاظ التي تصل إلى مسامع السائلين، مع وضوح المعنى، وجزالة الأسلوب، وسهولة العبارة.

ظل الإمام أحمد الغافقي يعلم الناس في مسجد القيروان أمور دينهم، حتى توفي - رحمه الله تعالى - سنة (275هـ / 888 م)، ودفن بالقيروان (243).

عصر الدولة الفاطمية في مصر (358 - 567هـ / 969 - 1171م):

لما تولى المعزّ لدين الله (319 - 365 هـ / 931 - 975 م) عرش الخلافة الفاطمية سنة (341هـ / 945م) في بلاد المغرب العربي، اشتدت رغبته في دخول مصر، فجهز جيشاً ضخماً بلغ تعداده مائة ألف مقاتل، بقيادة القائد جوهر الصقلي (المتوفى عام: 381 هـ / 992 م)؛ والذي نجح في القضاء على الدولة الإخشيدية في سنة (358هـ / 969م)، وأسس مدينة جديدة هي القاهرة، ولم يمضِ عامان حتى انتهى من تأسيسها وبناء جامعها الأزهر (244).

ولما استقر الأمر في مصر للقائد جوهر كتب إلى الخليفة المعز لدين الله يستدعيه ليتولى بنفسه حكم مصر. وفي رمضان سنة (362هـ / يوليو 973م) انتقل المعز إلى القاهرة على رأس أفراد أسرته ، وأصبحت مصر دار الخلافة الفاطمية.

وقد نجح الفاطميون في جعل مصر مقراً للعلوم والفنون، ومركز إشعاع جذب إليه كثيراً من العلماء ، يأتي في مقدمتهم، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي: المعروف بـ"أبي القاسم الجوهري" ، كان من أعيان فقهاء المالكية (245)، بل " من جلة الفقهاء " كما قال السيوطي (246). تعلم الجوهري على يد مجموعة ضخمة من

(241) ترتيب المدارك، ج 1، ص 344.

(242) الديباج المذهب، ج 1، ص 18.

(243) ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 61.

(244) د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 49.

(245) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 435.

(246) حُسن المحاضرة، ج 1، ص 150.

فقهاء المالكية في زمانه، من أمثال: أحمد بن محمد المكي، وأحمد بن بجزاد، وعبد الله بن الورد، وعلي بن عبد الله بن مضر، ومؤمل بن يحيى، وغيرهم⁽²⁴⁷⁾.

انتفع الجوهري بما سمع، واجتهد في طلب العلم، فجمع بين الحديث والفقه، حتى قال صاحب الديباج المذهب: "كان فقيهاً، كثير الحديث من شيوخ الفسطاط، وكبار فقهاء المالكية، وشيوخ السنّة"⁽²⁴⁸⁾. كل هذه المؤهلات جعلت طلاب العلم يرحلون إليه من الآفاق للأخذ عنه. فمن المصريين: أبو الحسن بن فهد، وأبو العباس بن نفيس المقرئ، وأبو علي الحراني. ومن القيروان: أبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو محمد الأجدابي. ومن الأندلس: خلف الجعفري، ومحمد بن الوليد، وأبو عمر الطلمنكي. ومن صقلية⁽²⁴⁹⁾: أبو بكر بن عقال الصقلي، وغيرهم⁽²⁵⁰⁾.

لم يكتفِ الإمام الجوهري بالتعليم فقط، بل قدم للمكتبة الإسلامية كتابين من أروع الكتب التي جمعت بين الحديث والفقه. الكتاب الأول: بعنوان: "مسند الموطأ"، بعلله، واختلاف ألفاظه، وإيضاح لغته، وتراجم رجاله، وتسمية مشيخة مالك⁽²⁵¹⁾. بهذا الكتاب ذاعت شهرة الإمام الجوهري في الآفاق، وحظي بثقة العلماء قديماً وحديثاً. قال الإمام الذهبي عن الكتاب: "إنه جوّده"⁽²⁵²⁾. وأضاف أحد الباحثين المحدثين: "أنه جمع الأحاديث الميسّنة؛ أي المرفوعة المتصلة من عدد من روايات "الموطأ" وبيّن اختلاف الرواة إذا كان بعضهم يختلف بوصل هذا الحديث أو قطعه أو إرساله أو وقفه أو رفعه، وحاول أن يرجح في بعض الأحيان"⁽²⁵³⁾.

وهذه عملية شاقة ومُضنية لا يقدر عليها إلا من كانت له قدم راسخة في العلم، جامعاً بين علمي الحديث والفقه "ولما كان هؤلاء المتقدمون موجودين في زمن الإسناد والإخراج، جاءت مُصنّفاتهم جامعةً بين التخريج والإخراج، فمن حيث إنّها مسندة كانت أصولاً يعزى إليها ويخرج منها، ومن حيث إن أصحابها قصدوا وصل ما في مُصنّفاتهم غيرهم من المراسيل والمعلقات كانت كالتخارج لتلك المُصنّفات"⁽²⁵⁴⁾.

⁽²⁴⁷⁾ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 6، ص 74.

⁽²⁴⁸⁾ ابن فرحون: ج 1، ص 480.

⁽²⁴⁹⁾ صِقْلِيَّةُ: من جزائر بحر المغرب، مقابلة إفريقية مثلثة الشكل، بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. وقيل: دورها مسيرة خمسة عشر يوماً، بينها وبين ريو، وهي مدينة في البرّ الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينية، مجاز يسمى القار، وفي أطول جهة منها اتساعه عرض ميلين، وعليه من جهتها مدينة تسمى مسّيني، وبين الجزيرة وإفريقية مائة وأربعون ميلاً إلى أقرب المواضع بإفريقية، وهو الموضع المسمى إقليبيّة، وهو يومان بالريح الطيبة أو أقلّ. وهي جزيرة حصينة كثيرة البلدان والقرى والأمصار. قيل: إن لها ثلاثة وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصناً. وكانت قليلة العمارة خاملة الذكر إلى أن فتح المسلمون بلاد إفريقية، فهرب أهل إفريقية إليها وعمروها حتى فتحت في أيام بني الأغلب في ولاية المأمون، فبقيت في يد المسلمين مدة، ثم ظهر عليها الكفار وهي الآن في أيديهم. ياقوت: معجم البلدان، ج 3، ص 416، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 215، البغدادي: مرصد الاطلاع، ج 2، ص 847.

⁽²⁵⁰⁾ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص 135.

⁽²⁵¹⁾ الكتاني: الرسالة المستطرفة، ج 1، ص 13، كحالة: معجم المؤلفين، ج 5، ص 151. وطُبع الكتاب في دار الغرب الإسلامي، بتحقيق:

لطفني بن محمد الصغير، و طه بو سريخ، 1994م.

⁽²⁵²⁾ سير أعلام النبلاء، ج 16، ص 436.

⁽²⁵³⁾ د. الشريف حاتم بن عارف العوني: مصادر السنة ومناهج مصنفيها، ج 1، ص 29.

⁽²⁵⁴⁾ د. عبد الغفور عبد الحق البوشلي: علم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية، ص 24.

أما الكتاب الثاني: فيحمل عنوان " مسند ما ليس في الموطأ " ، وللأسف الشديد لم يصلنا ، ولعله فُقد مع ما فقدنا من تراثنا الحضاري. وعلى كل، فقد احتل الإمام الجوهري مكانة عالية بين علماء الأمة بهذه المصنّفات، حتى قال القاضي عياض: " كان كبير فقهاء المالكية في زمانه " ⁽²⁵⁵⁾.

وبعد رحلة من العطاء المتواصل، رحل الإمام الجوهري، في شهر رمضان من سنة (381هـ / 991م) ، ودفن بالفسطاط ⁽²⁵⁶⁾.

ومن أشهر فقهاء المالكية الذي سطع نجمه في سماء الدولة الفاطمية، الفقيه: إبراهيم بن عبد الله بن حصن، أبو إسحاق الغافقي. بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ في دراسة الحديث، ولكنه حُبب إليه علم الفقه، فرحل من أجله في الآفاق. ولا بأس أن نقف قليلاً مع هذه الرحلة، لتتعلم كيف تكون الهمم العالية في طلب العلم.

بدأ الغافقي حياته العلمية بالأخذ عن علماء مصر، وعلى رأسهم فقهاء المالكية في زمانه، من أمثال: القاضي أبي الطاهر الدهلي (280 - 367 هـ / 893 - 978 م)، والحسن بن يحيى، وغيرهما. لم يكتفِ الغافقي بذلك بل عنت له الرحلة إلى خارج مصر، فبدأ ببلاد الشام، وطاف في مدنها؛ فنزل مدينة الرملة ⁽²⁵⁷⁾، وسمع بها من أبي محمد بن عبد الحميد بن داود، وبطرابلس الشام ⁽²⁵⁸⁾ تتلمذ على يد عمر بن داود بن سلمون، وأبي عبد الله بن أبي كامل، وغيرهما. وكان من الطبيعي أن يرحل إلى دمشق للأخذ عن علمائها من أمثال: عبد الوهاب الكلّابي، ويوسف بن القاسم الميانجي، وغيرهما ⁽²⁵⁹⁾. ثم رحل إلى بغداد ⁽²⁶⁰⁾ - حاضرة العباسيين - والتي كانت تنافس مدينة القاهرة - حاضرة الفاطميين - فسمع بها من أبي بكر بن مالك القطيفي، ومحمد بن إسحاق الصفار، وعلي بن الحسن الحرامي، ومحمد بن إسماعيل الوراق، وغيرهم ⁽²⁶¹⁾.

لم تُشيع هذه الرحلة نهم الغافقي، فقرر السفر إلى مشرق العالم الإسلامي؛ لسماع المزيد من العلم، فإذا تذكرنا أن الدول المستقلة - عن الخلافة العباسية في بغداد - كانت آخذة في الظهور في هذا الوقت، وكان ملوكها وأمرؤها يشجعون العلماء للإقامة إلى جوارهم، لإضفاء مزيد من الشرعية على حكمهم. علمنا أسباب ازدهار العلم في هذه العواصم.

⁽²⁵⁵⁾ ترتيب المدارك، ج 2، ص 135.

⁽²⁵⁶⁾ محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1، ص 94.

⁽²⁵⁷⁾ الرملة: واحدة الرمل: مدينة بفلسطين، كانت قصبته، وكانت رباط للمسلمين، وبينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلاً، وهي كورة منها.

ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص69، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص633.

⁽²⁵⁸⁾ طرَابُلسُ الشَّام: هي في الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة. وتقع حاليًا في بلاد الشام. ياقوت:

المصدر السابق، ج4، ص26.

⁽²⁵⁹⁾ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 7، ص 8.

⁽²⁶⁰⁾ بغداد: مدينة السلام عاصمة العراق حاليًا. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: 119، ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص

456، البغدادي: المصدر السابق، ج2، ص725.

⁽²⁶¹⁾ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 28، ص 98.

وعلى كل حال، دخل الغافقي مدينة جرجان⁽²⁶²⁾ وسمع من إمامها أبي أحمد الغطريفى، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي. ثم زار مدينة إستراباذ⁽²⁶³⁾ وأخذ عن عالمها الإمام علي ابن أحمد بن موسى الطيبي. ثم رحل إلى إقليم خراسان⁽²⁶⁴⁾ وطوّف في مدنه، فبدأ بمدينة نيسابور⁽²⁶⁵⁾ - حاضرة الدولة الطاهرية - فسمع من عالمها محمد بن القاسم. ثم واصل سيره حتى مدينة همذان⁽²⁶⁶⁾ فسمع بها من إمامها أحمد بن عبد الله الوراق. وكانت مدينة آمل⁽²⁶⁷⁾ بطبرستان، على أطراف نهر جيحون [سير دريا حاليًا] آخر بقعة وطأها أقدام الغافقي، فأقام بها مدة ليست بالطويلة سمع خلالها من عالمها وإمامها أبي الحسن بن محمد⁽²⁶⁸⁾.

هذه إذن كانت رحلة الإمام الغافقي في طلب العلم، من القاهرة إلى الشام، إلى العراق، إلى طبرستان، وخراسان، ونيسابور، وهمذان. وهي رحلة طويلة وشاقة، لاشك في ذلك، ولكنها أكسبته علمًا كثيرًا، عاد بعدها ليقيم في مدينة دمشق - والتي كانت تتبع حينئذ الخلافة الفاطمية بالقاهرة - فكان من الطبيعي أن يلتفت طلاب العلم حوله للأخذ عنه، فجلس بالمسجد الأموي في دمشق ليعلم الناس أمور دينهم، وعلى رأسها الفقه المالكي.

⁽²⁶²⁾ جُرْجَانُ: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي قطعتان إحداهما المدينة والأخرى بكرآباد؛ وبينهما نهر كبير يجتمع جرى السفن فيه، وبها الزيتون والنخل والجوز والزمان وقصب السكر والأترج. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 119، البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 323.

⁽²⁶³⁾ أَسْتَرَابَادُ: بلدة مشهورة من أعمال طبرستان، بين سارية وجرجان. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 174، البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 70.

⁽²⁶⁴⁾ خُرَاسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أقطاب من البلاد منها نيسابور وهرارة ومرو، وهي كانت قصبته، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة (31هـ) في أيام عثمان بن عفان، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كرز. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: 46، ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 350، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 361، البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 455.

⁽²⁶⁵⁾ نَيْسَابُورُ: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخًا، وهي إحدى مدن خراسان، فتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، على يد عبد الله بن عامر، وبنى بها جامعًا. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 331، البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص 1411.

⁽²⁶⁶⁾ هَمْدَانُ: مدينة من الجبال أعذبها ماء وأطيبها هواء، وهي أكبر مدينة بها. قيل: كانت أربع فراسخ في مثلها، وإنما خزّ بها بخت نصر، ولم تزل بعد ذلك خرابًا إلى أن عمّرها بعد ذلك دارا بن دارا، وحصّنها، ونقل أمواله إليها، وما زالت محلًّا للملوك ومعدنًا لأهل الدين والفضل، إلا أنّ شتاءها مفرط البرد، حتى قد قيل فيه أشعار كثيرة، وأفردت فيه كتب، إلا أنّها مع ذلك كثيرة الزهر والرياحين في الربيع، وأرضهم منبت الزعفران، وعندهم أنواع من الألوان لا تكون في بلاد غيرهم، ولها أربعة وعشرون رستاقا يطول تعديدها. ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص 410، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 483، البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص 1464.

⁽²⁶⁷⁾ أَمْلُ: أكبر مدينة بطبرستان في السهل، بينها وبين سارية ثمانية عشر فرسخًا، وبينها وبين الرويان اثنا عشر فرسخًا، وبينها وبين سالوس اثنا عشر فرسخًا. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 57، القزويني: المصدر السابق، ص 286، البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 6.

⁽²⁶⁸⁾ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج1، ص 470.

• الغافقي يتولى الحسبة⁽²⁶⁹⁾:

ذاعت شهرة الإمام الغافقي في مدينة دمشق، وسطع نجمه بين فقهاءها ، فوقع اختيار الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي [386 - 411 هـ / 696 - 1020 م] عليه ليتولى نظام الحسبة ، ويشرف على الأسواق، ويضبط الأسعار.

وإذا عنّ لنا سؤال: لماذا وقع اختيار الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي الشيعي على الفقيه المالكي أبي إسحاق الغافقي ليتولى هذا المنصب؟! لماذا لم يول أحدًا من فقهاء الشيعة هذا المنصب المهم?!.

في الحقيقة، أن الدولة الفاطمية كانت تمر خلال هذه الفترة بمرحلة من أهم المراحل التي مرت بها خلال وجودها في مصر. فقد كانت تعاني من الأزمات الاقتصادية الطاحنة، والتي أعقبها قيام كثير من الثورات الاقتصادية⁽²⁷⁰⁾، والتي أخذت تهدد الخلافة بشكل مباشر. هذا في الوقت الذي تزامنت فيه الدعاوى بألوهية الحاكم بأمر الله ، فكانت تهديدًا للخلافة الفاطمية في الجانب الديني والعقدي . كل ذلك جعل الحاكم بأمر الله يتقرب إلى المسلمين السُنَّة ، بتعيين أحد فقهاءهم في هذا المنصب المهم.

ونطرح سؤالاً آخرًا: هل تأثر الإمام الغافقي بهذا المنصب؟! هل اعتنق المذهب الشيعي؟! هل هادئهم؟ هل تقرب إليهم على حساب دينه أو علمه أو فقهه؟

في الحقيقة، ظل الإمام أبو إسحاق الغافقي مستمسكًا بمذهبه، وبمعتقدده. فلم يهادن الشيعة الروافض، أو يتقرب إليهم، بل كان يؤدب كل من يتناول على أحد من صحابة رسول الله (ﷺ). ومنها - على سبيل المثال - أن رجلاً من الشيعة الروافض استهزأ في سوق دمشق بالشيخين؛ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، فأمر بجلده حتى مات تحت الضرب، ثم قال الإمام: " هذا جزاء من ينتقص السلف الصالح"⁽²⁷¹⁾. والغريب أن الخليفة الحاكم بأمر الله أرسل إليه يشكره على فعله هذا. قال ابن تغري بردي - معلقًا على هذا الحادث -: " ثم أبطل الحاكم المنجمين من بلاده، وأعتق مماليكه، وجعل ولي عهده ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس وخطب له بذلك، وأمر بحبس النساء في البيوت، وصلحت سيرته"⁽²⁷²⁾.

أما فيما يخص الحسبة، فقد استطاع الإمام أن يضبط الأسواق، وأن يعاقب التجار المخالفين، وأن يقضي على الاحتكار. وبهذا أعاد الهدوء إلى الأسواق مرة ثانية، فأمن الناس على أرواحهم وأموالهم ، ومن ثم عاد النشاط الاقتصادي إلى أسواق دمشق ، وعم الرخاء البلاد ، فسعد الناس بالإمام الغافقي كثيرًا.

⁽²⁶⁹⁾ الحسبة لغة: اسم من الاحتساب، وهو ادخار الأجر والثواب عند الله تعالى، وفي الشرع: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، لقوله تعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". [سورة آل عمران، آية 104]. ومن شروط المحتسب: أن يكون حرًا، عدلاً، ذا رأي وصرامة، وعلى علم بالمنكرات الظاهرة؛ لذا فقد شرط العلماء ألا يتولى هذه الوظيفة إلا رجل وحيه في دينه ودنياه، وللمحتسب أن يتخذ الأعوان الذين يتوبون عنه في المدن وسائر الأعمال. ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص51، الماوردي: الأحكام السلطانية، ص247. ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص611.

⁽²⁷⁰⁾ د. محمود محمد خلف: ثورات المصريين في العصر الفاطمي، ص159 ما بعدها.

⁽²⁷¹⁾ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص233.

⁽²⁷²⁾ النجوم الزاهرة، ج4، ص235.

هكذا كانت حياة الإمام أبي إسحاق الغافقي ، جادًا في طلب العلم وتحصيله، جادًا في تعليم الناس أمور دينهم، جادًا في تولي المناصب السياسية والدينية. ظل في منصبه - رحمه الله تعالى - حتى توفي في ذي الحجة سنة (404هـ / 1013م)، ودفن بدمشق.

صفوة القول، أنه على الرغم من شهرة وقوة الدولة الفاطمية واهتمامها بالعلم، لم تقدم لنا قبيلة غافق خلال حكم هذه الدولة العتيدة سوى فقيهين اثنين، سطع نجمهما في سماء العالم الإسلامي.

ثانيًا: الفقيه الشافعي:

ظل المذهب المالكي منتشرًا في مصر حتى قدم الإمام الشافعي إليها في سنة(199هـ / 815م) وصار له بما أتباع ، وتوطن هذا المذهب في مصر على إثر ذلك. وقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، تطورًا كبيرًا في علم الفقه، فقد استقر المذهب الشافعي في مصر وزاد انتشاره، وبالتالي زاد الصراع بينه وبين المذهب المالكي. وأخذ هذا الصراع أشكالًا عدة تتمثل في المناظرات، والمحاورات، والمؤلفات التي وضعها أئمة كل مذهب يدافعون فيها عن مذهبهم ويردون على المذاهب الأخرى. ولا شك أن هذه المؤلفات والمناظرات كانت في النهاية تؤدي إلى ظهور آراء فقهية جديدة⁽²⁷³⁾.

هذا، ولم أعر بين الغافقيين على من اشتغل بالفقه الشافعي إلا الفقيه، حميد بن يحيى بن يوسف الغافقي. سمع هارون بن عبد الله الزهري، وروى عنه محمد بن الربيع بن سليمان الجيزي. كان الغافقي فقيهاً شافعيًا حسن المذهب، عاش في مدينة الفسطاط في ظل عصر الولاة، وتوفي بها يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رجب في سنة(255هـ / 868م)⁽²⁷⁴⁾.

ثالثًا: فقهاء المذهب الليثي:

إلى جانب المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة، كانت هناك بعض المذاهب الأخرى ، مثل المذهب الجريري؛ نسبة للإمام محمد بن جرير الطبري(224 - 310 هـ / 839 - 923 م). والمذهب الظاهري؛ نسبة للإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني (201 - 270 هـ / 816 - 884 م). وغير ذلك من المذاهب التي اندثرت. ربما لطغيان المذاهب الأخرى عليها، وربما لقلّة المشتغلين بها، أو لعدم شهرة مؤسس المذهب، أو لاعتناق الخلفاء مذهبًا فقهياً بعينه، وإجبار الناس على اعتناقه والإفتاء به. كما حدث - مثلاً - مع تبني الخلفاء العباسيين للمذهب الحنفي؛ الذي ذاع صيته وانتشر في باقي العالم الإسلامي، بسبب تولي بعض علماء المذهب، - من أمثال أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم(113 - 182 هـ / 731 - 798 م) ، ومحمد بن الحسن الشيباني(131 - 189 هـ / 748 - 804 م) - بعض المناصب السياسية في الدولة⁽²⁷⁵⁾.

⁽²⁷³⁾ (رضوان محمد الجناني: القبائل العربية في مصر ، ص 192.

⁽²⁷⁴⁾ (المقرئزي: المقفى الكبير، ج 3، ص 683. ولم أعر على ترجمة وافية له فيما تحتي يدي من مصادر.

⁽²⁷⁵⁾ (لمزيد من التفاصيل، انظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج 2، ص 14 وما بعدها.

أما عن المذهب الليثي، فهو نسبة إلى الفقيه المصري الليث بن سعد أبي الحارث الفهمي المصري (94 - 175 هـ / 713 - 791 م)، ولد في قلقشندة وتفقه بالحجاز⁽²⁷⁶⁾، قال الشافعي: "الليث أفقه من مالك (بن أنس)، إلا أن أصحابه لم يقوموا به"⁽²⁷⁷⁾. وقد حزن المصريون جدًا على فقده. قال خالد بن عبد السلام الصديقي: "جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزي بعضهم بعضًا، فقلت لأبي: يا أبت؛ كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة!! فقال لي: يا بني كان عالما كريماً حسن العقل كثير الإفضال، يا بني لا ترى مثله أبداً"⁽²⁷⁸⁾.

كان هذا المذهب أحد المذاهب الفقهية المعروفة في العالم الإسلامي، وقد اشتغل اثنين من فقهاء الغافقيين بهذا المذهب، أولهما: حماد بن صفوان الغافقي: كان من أبرز تلاميذ الإمام الليث بن سعد. قال السمعاني: "كان يحفظ مذهب الليث بن سعد"⁽²⁷⁹⁾، ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته.

ثانيهما: لبيب بن عبد المؤمن بن لبيب الغافقي: تتلمذ على يد الإمام الليث بن سعد، وكانت له حلقة في مسجد عمرو بن العاص. قال السمعاني: "كان يفتي الناس، عالماً بأصول الدين"⁽²⁸⁰⁾، ولم تذكر لنا المصادر - أيضاً - تاريخ وفاته.

وفي نهاية هذا البحث لي ملاحظتان مهمتان:

أولاً: أن عدد الفقهاء الغافقيين في مصر قد وصل إلى ستة فقهاء، وهو عدد قليل جداً مقارنة بالمحدثين. يأتي المذهب المالكي في المرتبة الأولى، فقد ساهم بنحو ثلاثة فقهاء، والمذهب الليثي في المرتبة الثانية، فقد ساهم بفقيهين، على حين يأتي المذهب الشافعي في المرتبة الأخيرة، فقد ساهم بفقيه واحد. وأزعم أن هذه نتيجة طبيعية تتماشى مع طبيعة الحركة الفكرية في مصر الإسلامية. فقد كانت الغلبة للمذهب المالكي، وعندما سطع نجم الليث بن سعد في سماء الفسطاط، كان من الطبيعي أن يلتفت الناس حوله للأخذ عنه، ثم ظهر من بين المصريين من اشتغل بهذا المذهب لفترة ليست بالقليلة. حتى إذا رحل الإمام الشافعي (150 - 204 هـ / 767 - 820 م) إلى مصر واتخذها سكناً له، فأعجب الناس بفصاحته وعلمه، والتف الكثير منهم حوله، فاشتغلوا بمذهبه، ومن ثم تقلص عدد المعتنقين للمذهب الليثي والمالكي، وكانت الغلبة في النهاية للمذهب الشافعي. هذا، وإن لم تسهم قبيلة غافق إلا بفقيه شافعي واحد فقط.

ثانياً: على الرغم من قلة الفقهاء الغافقيين، إلا أن بصماتهم كانت واضحة في مجال الفقه. فقد ساهم الإمام الجوهري بمؤلف فريد جمع فيه بين الفقه والحديث، وخط بذلك خطوات واسعة في هذا النوع من العلم. أما الإمام أبو إسحاق الغافقي فعلى الرغم من توليه الحسبة للفاطميين إلا أنه ذب عن عرض الصحابة، مؤدب كل من

⁽²⁷⁶⁾ ابن حجر: سيرة فضائل الإمام الليث بن سعد، ص 23.

⁽²⁷⁷⁾ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 544، ابن العماد: شذرات الذهب ج 2، ص 240.

⁽²⁷⁸⁾ ابن حجر: المصدر السابق، ص 69.

⁽²⁷⁹⁾ الأنساب، ج 4، ص 572، ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحتي يدي من مصادر.

⁽²⁸⁰⁾ نفس المصدر، ج 2، ص 200، ابن ماكولا: الإكمال، ج 3، ص 109. ولم أعثر على ترجمة وافية له فيما تحتي يدي من مصادر.

تداول عليهم، كما استطاع في نفس الوقت أن يضبط الأسواق، وأن يقضي على الاحتكار. وأن ينشر العلم في ربوع العالم الإسلامي وبخاصة في مدينتي الفسطاط ودمشق.

الخاتمة

هذه خاتمة أحاول أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي:

أولاً: أثبت البحث أن قبيلة غافق، قبيلة عريقة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ، وإن أصولهم ترجع إلى بلاد اليمن الواقعة في جنوب شبه الجزيرة العربية، والتي هاجرت من حضرموت مع موجة الهجرات التي أعقبت انهيار سد مأرب الشهير. وبعد ظهور الإسلام كانت قبيلة غافق من أوائل القبائل التي وفدت على النبي (ﷺ) في العام التاسع للهجرة وهو المعروف بعام الوفود ، فأسلمت وحسن إسلامها.

ثانياً: أثبت البحث أن قبيلة غافق كان لها دورٌ كبيرٌ في حركة الفتوحات الإسلامية، فقد شاركت بقوة وفاعلية في فتح مصر، ثم استقرت بالفسطاط وكانت لها حِطة شهيرة بها، وطابت لهم الحياة في ظلها، فاتخذوها سكناً ومقرّاً لهم.

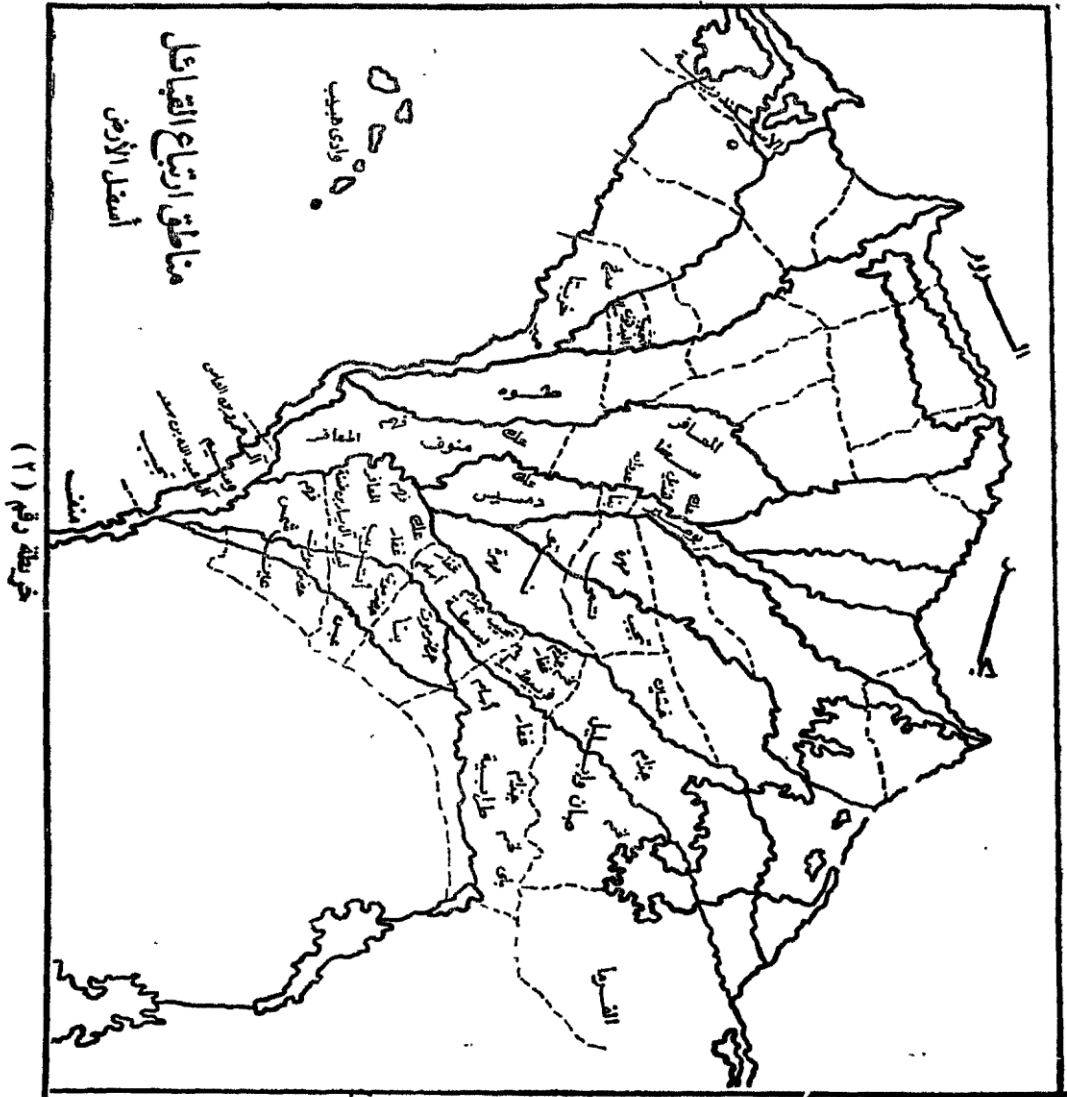
ثالثاً: عالج البحث بالتفصيل الدور الإيجابي الذي قام به العلماء الغافقيين في إثراء الحياة العلمية في مصر الإسلامية. فكان منهم المحدثون ، والفقهاء. وكانت لهم بصماتهم الواضحة في كل هذه المجالات.

رابعاً: أثبت البحث أن علماء غافق كانوا قليلي التأليف، ولعلمهم قد اكتفوا بتعليم الناس ، وهي مهمة شاقة لا تقل عن دور التأليف والتصنيف. وذلك - بالطبع - إذا استثنينا بعض مُصنِّفات عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي (المتوفى عام: 381هـ / 991م): المعروف بـ"أبي القاسم الجوهري" في الفقه المالكي، وهي ما زالت مخطوطة تحتاج إلى مَنْ يزيل عنها غبار السنين ، ويخرجها لنا في صورة كتبٍ محققةٍ تحقياً علمياً صحيحاً ، وما ذلك على الله بعزيز.

خامساً: أظهر البحث أن قبيلة غافق ظلت تحيا في مصر منذ اللحظات الأولى للفتح حتى أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وهذا ما تشهد به شخصيات غافق من جهة، وشواهد قبورهم من جهة أخرى. وإذا كانت غافق قد لعبت أدواراً حربية كان لها أثرها في مصير مصر، فإن الطابع الذي غلب على أبنائها هو الطابع الديني والعلمي.

سادساً: أثبت البحث أن الغافقيين أحبوا مصر حباً جمّاً ، فكانوا كثيري الثناء عليها ، والافتخار بها. ولم نقرأ أن أحدهم هاجر إلى بلد آخر، ولو كانت بلاد اليمن موطنهم الأصلي، ومسقط رأسهم. وفي هذا أكبر دليل على حبهم لهذا الوطن، وإيمانهم العميق بالدور الحضاري الذي كان يقوم به تجاه عالمه الإسلامي ، لذلك فقط فضلوا الإقامة فيه.

الملاحق



خريطة توضح مناطق ارتباع القبائل العربية في مصر
نقلًا عن كتاب: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، للدكتور عبد الله خورشيد البري،
ص 312